المشرق

نسخة جديدة مخطوطة

من ديوان الاخطل وُجدت في بغداد

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان محلّ الاخطل في الشعر اكبر من ان يحتاج الى وصف. فانهُ كان من فحول الشعراء المقدَّمين عالي الكعب في النظم راسخ القدم في هذه الصناعة طويل الباع لهُ منزلة وشأن عند الخاصّ والعام. وممَّا امتاز بهِ مدحهُ للكرام وجزالة وصفهِ وهجوهِ في عفافٍ مرح الفحش. وقد قيل عنهُ أنهُ ان هجا امضّ ووضع وان مدح اطرب ورفع حتى فضَّلهُ كثيرون على جرير والفرزدق وهو اشبه بشعراء الجاهليَّة. وشبهُ ابو عمرو بالنابغة لصحَّة شعرهِ. وكان اولاد الملوك والامراء يعظمونهُ ويبجلونهُ وكان مقدَّمًا عند خلفاء بني اميَّة. وكفى شاهدًا ان عبد الملك سمَّاه شاعر امير المؤمنين وشاعر بني امية بل اشعر العرب. فهذا الذي حدانا الى طبع ديوانهِ

ولمَّا اقدمنا على هذا العمل الخطير لم يكن يُعرف اذ ذاك من مجموع شعرهِ الَّا النسخة الوحيدة المحفوظة في خزانة كتب مدرسة اللغات الشرقيَّة ببطرسبرج

ومن عُني بنشر الشعر القديم يعلم ما يعترضهُ من الصعوبات في هذا السبيل ان لم يكن بين يديهِ الَّا نسخة واحدة قد تلاعبت بها ايدي الزمان

وعليهِ فتعويضًا عمَّا كان ينقصنا من النُسخ انصبينا على العمل بجدٍّ لا يعرف الملل

وصرفنا وقتاً غير يسير في مطالعة كتب اللغة ومؤلفات العرب فحصلنا منها درراً مدخونة وهي شواهد ابيات للاخطل تُعدّ بالمئات كما يتحقق ذلك كل من يطالع الحواشي التي علقناها على شعره. وبينا نترقّب وقت فراغ من اشغالنا لنصرفهُ في انجاز ما وعدنا به من اتمام الجزء الخامس الذي سيحتوي الفهارس مع تصحيحات وروايات مختلفة اذ اسعدنا الحظ بان وجدنا مؤخرًا في بغداد نسخةً جديدة خطية من ديوان الاخطل هدانا اليها حضرة العلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي فبادرنا لاقتنائها. وبعد اجالة النظر فيها ومطالعتها ومقابلتها مع الديوان المطبوع رأيناها جديرة بالاعتبار فاحببنا وصفها للقرّاء.

تُؤلَّف هذه النسخة من ٨٧ ورقة وهي مجلَّدة بجلدٍ رقيق احمر منقوش نقشاً خفيفاً ومحفوظة احسن حفظ (١ وطول الصفحة ٢٠ سنتيمترًا وعرضها ١٤ سنتيمترًا ونصف وطول المكتوب من الصفحة ١٥ سنتيمترًا وعرضهُ ٩ سنتيمترات. والابيات كلها والشروح الّا ما قلّ مضبوطةٌ بالشكل الكامل. ومرسومة بخطٍ جليّ. ولبعض الابيات شرحٌ وجيز

وهذه النسخة قديمة يشهد بعتقها قرطاسها وحبرها وقلمها وتاريخها المكتوب في خاتمة النسخة. وهذا نصهُ: «قد وافق الفراغ من تكميل هذه النسخة المباركة يوم

١) ما عدا موضعين. ففي الصفحة الثانية من الورقة الاولى في بدء الاسطر ١٣ و١٤ و١٥ بعض كلمات ناقصة ترك الناسخ محلّها ابيض فارغاً كأنهُ وجد الاصل الذي نقل عنهُ ممزقاً او بالياً. ولكن الاعجب من ذلك هو ان الناسخ مزج قصيدتين مختلفتين كلّ الاختلاف ليس فقط في المنى لكن ايضاً في الوزن والقافية. فادخل ابيات الواحدة في وسط الاخرى. فانَّهُ في الصفحة ١ من الورقة ٤٥ بعد ان اورد خمسة ابيات من القصيدة الدالية «اذا ما قلتُ قد صالحتُ بكرًا... البعدُ» (راجع الديوان المطبوع ٢٨٢) اتى بابيات من قصيدة كافيَّة تاركاً الخمسة الاولى منها * فقال «ترى ما يمسّ الارض منهُ اذا مشى... الدكادكِ» الى آخرها. والحقها ببيتين من ذات الوزن والقافية: «بنو دارمٍ عند السماء...» (هذان البيتان من قطعة اخرى اورد ثلاثة ابيات منها في الصفحة ١ من الورقة ٤٠). ثم عاد الى إكمال القصيدة الداليَّة (راجع الديوان المطبوع ٢٨٤ و ٢٧٥). وهذا دليل على ان النسخة الاصليَّة التي نقل عنها كاتب نسختنا لم تكن على ما يُرام من حسن الحفظ بينا نسختنا في هذه المواضع جيدة الورق والحبر والخط

* الّا انَّهُ اورد شرحَ البيتِ الخامس الناقصِ ممزوجاً بشرح القصيدة الداليَّة «... والضَّواضيةُ الداهيةُ المُنْكَرُ أرادَ انهُ مُلازم فلاتَهُ لا يفارقُها هذا الحيَّةُ واللهابُ جمع لهبٍ وهي الفرجةُ تكونُ في الجبلِ نافذةً» وهذا الشرح يؤيّد قراءة العلّامة نولدكي «رَيبِ ضَناةٍ»

الاثنين الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة ٧٧٥ (١ على يد عبد الرحمن بن محمد ابن جعفر غفر الله لهُ » وفي اول وجه من الكتاب سُطرت بقلم غير قلم الناسخ هذه العبارة « كتاب يا لهُ قدر جليل فيهِ درٌ قد حوي او جُمانُ . مالكهُ مراد الجليلي سنة ١٢٢٠ »

ويبتدئ ديوان الاخطل في هذه النسخة هكذا : « الحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم ربِّ يسّر وقال الاخطل :

صحا القلب الَّا من ظعائن فاتني   بهنَّ امير مستبدٌ فأصعدا
الاميرُ قيمهنَّ والمستبدّ المالك لهنَّ »

وبين هذه النسخة والنسخة المطبوعة فروق كثيرة منها زائدة ومنها ناقصة في الابيات كما في الشروح . ويبلغ عدد الابيات التي لا وُجود لها الَّا في النسخة البغدادية نحو ١٨٠ بيتاً . على ان ما ينقصها ممَّا هو مثبتٌ في نسخة بطرسبرج هو اوفر بكثير يبلغ نحو ١٠٥٠ بيتاً

امَّا رواية شعر الاخطل في النسخة البغداديَّة فهي عن ابن الاعرابي وعن ابي عمرو . بدليل ما جاء في آخر الصفحة الثانية من الورقة ٧٥ . وهذا نصهُّ : « هذا

١) نرتاب في هذا التاريخ لسببين الاول ان الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة ٧٧٥ لم يقع يوم الاثنين بل يوم الاربعاء . والثاني هو علامات تزوير ظاهرة في الارقام . ودليل ذلك ان الصفحة المدوَّن فيها التاريخ التصقت مع الصفحة التي قبلها على اليمين فنتج عن هذا الالتصاق تأثير الحبر من صفحةٍ على اخرى في كثير من الالفاظ . فالكلمة « سنة » ارتسمت مقلوبةً على الصفحة الاخرى وكذلك الرقم ٥ الَّا ان الرقمين ٧٧ لم يؤثر حبرهما على الوجه الآخر . ولعلَّ الارقام التي كانت قبلًا موضعهما أثرت فمحا المزوّر آثارها . ثم انهُ يظهر بين الرقمين ٧٧ آثار نقطة ممحوّة بالحكّ . فضلًا عن ان الحبر يُرى في بعض اجزائهما احدث . فقدّرنا ان يدَ مزوّرٍ تلاعبت في تغيير التاريخ ليوهم ان النسخة اقدم ممّا هي في الحقيقة . فالرقم ٥ لا ريب في صحتهِ بدليل آثاره الباقية في الصفحة الاخرى . ومن فحص الارقام ٥٧٠٧ فحصاً مدقَّقاً تأكَّدنا ان التاريخ الاصلي هو ١٠٧٥ فان اجزاء الارقام المرسومة بخطّ مُهشّم يظهر مدادها قديماً بينما مداد الاجزاء المرسومة بخطّ غير مهشّم يظهر حديثاً . فضلًا عن ان رسم ضلع الرقم ٧ على اليسار عموديّ غير مائل كما في الرقم ٧ الذي على اليمين . فكان ١ فصنعهُ المزوّر ٧ الَّا ان الحادي عشر من شهر ذي الحجّة في سنة ١٠٧٥ وقع يوم الخميس لا يوم الاثنين . فيكون الناسخ غلط في تعيين اسم اليوم من الاسبوع او اسم الشهر . والله اعلم . هذا وانّهُ في السنة ١٠١٥ الحادي عشر من ذي الحجة وقع يوم الاثنين فبمحو النقطة وابدال ١ بالرقم ٧ تصير ٧٧٥ . فتأمَّل

آخر شعر الاخطل عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي. وما بعده فعن ابي عمرو الشيباني » (راجع الديوان المطبوع السطر ١٦ وما يليه من الصفحة ٣٧٣)

ومقام هذه النسخة من الصحة والتدقيق في مكانٍ رفيع من جهة الالفاظ والرواية سواء كان في المتن او في الشرح فان مواضع عديدة كانت اشكلت علينا في نسخة بطرسبرج فلدى مقابلتنا اياها مع نسخة بغداد انجلى معناها ووجدنا لها الرواية الصحيحة

وبيانًا لذلك نورد ههنا بعض الفاظ انتقد عليها العلّامة نولدكي (Noldeke) (١ والعلّامة بَرْت (Barth) (٢ في كلامهما عن طبعتنا. فلدى معارضتها بالنسخة البغدادية رأيناها في هذه اصح:

	الديوان المطبوع	نسخة بغداد
٥٥,٦	حمالات	جمالات
٦٦,٥	من القوم لم تصبح من القوم	بقومكَ لم تصبح من القوم
٧٨,٧	بُنيتْ	نَبَتْ
٨١,٥	رزموا	زرموا
٨٨,٦	حَمَامة	حَمَايه
١٦٦,٧	وترنمن	وترجمن
١٧٦,١٠	حَبيتُ	ثُوِيتُ
٢٣٠,٣	بنا	بِجَا
٢٤٤,٩	شَفَتْ	شَفَتْ
٢٦١,١	باتَتْ	بَاتْ
٣٠١,١٠	اقف	نقف
٣١٦,٥	ولكنّها	ولكنّما

وعليه فقد اكتسبنا جزيل فائدة من هذه النسخة الجديدة ونأسف اننا لم نعثر عليها قبل طبع الديوان. امّا من حيث الضبط بالشكل فهذه النسخة سقيمة كأنّ الناسخ لم يكن به خبيرًا كما يستدلّ من رسم الصفحة المطبوعة بالنور والمثبتة في هذه المقالة. ومع ذلك تراهُ بعض الاحيان في نصوصٍ مهمّة يثبت الحركات التي يقتضيها المعنى والقواعد بينا نسخة بطرسبرج تأتي بالغلط

١) Wiener Zeitschr. f. d. Kunde d. Morgenl. V *u* VI

٢) *Idem* XV

مثال ذلك بعض ما ورد في انتقاد العلاَّمة نولدكي والعلاَّمة بَرْت:

٥٦,٨	شُهُبُ	شُهُبَ
٨٩,٤	والبطونُ	والبطونِ (١
٩٦,٦	التمامُ المطرَّدا	التمامَ المطرَّدا
٢٣٠,٧	عمودَهُ	عمودُهُ
٢٣٨,٥	النفسَ . . . جُنَّةً	النفسُ . . . جَنَّةً
٢٤٠,٧	غريبتُهم	غريبتَهُم
٢٤٠,١٠	ويُسنَمُ اصداء	ويُسلِمَ اصداء
٣١٥,٦	يَنيبُ لِما أنابَ	يُنيبُ لما يُنيبُ
٣٢٠,٢	تُبينَ	تَبينَ
٣٢٨,٢	شُعْثُ	شُعْثُ
٣٢٨,٤	فَتَرَكْنَ	فَتُرِكْنَ

بقي علينا ان نبيّن ما في هذه النسخة من الشعر الغير الموجود في نسخة بطرسبرج

١ في الصفحة الاولى من الورقة الثامنة ٥ ابيات وهذا بدؤها : وقال الاخطل . ولم يروها ابو عبد الله وقرأناها عليه

وَمُستَرِقِ النُّخَامَةِ مُستَلِينٍ   لِوَقعِ الكَاسِ يُومِي بِالبَنَانِ

٢ في الصفحة الاولى من الورقة السابعة عشرة قصيدة تحتوي على ١٣ بيتاً واولها

بِئْسَ الفَوَارِسُ عِندَ مُختَلَفِ القَنَا   عِـدْلُ الحِمَارِ مُحَارِبٌ وَسَلُولُ

وفي الاصل الفوارسَ بفتح آخره ومحاربٍ بتنوين الجرّ . وقال في الشرح « محارب ابن حصفة بن قيس بن عيلان وسلول بنت مرّة بن ذُهل بن شيبان ولدت لصعصعة بن معاوية فنُسِبوا الى امّهم »

٣ في الوجه الاوّل من الورقة ٥٢ ستة ابيات . اوّلها :

أَفِي كلِّ عامٍ لَا يزال لعامرٍ   على القَزْرِ نَحبٌ من رواشٍ مُزَنَّمُ

وقال في الشرح « الترنيم والترعيل واحد وهو ان تشقّ اذن البعير طولًا ثم تترل

١) قال في شرح النسخة البغدادية : « يقال هِمْ لنفسكَ واهتَمْ لها اي اطلب واحتَلْ وهو يَهيم لها الخلاصَ . وقَرِيبَةُ والبُطُونُ من بني عامر بن عوف بن كلب »

تنوس والقزر سعد بن زيد مناة بن تميم وعامر بن عمرو من بني ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان والاروش جمع راش وهي ديات الجراحات »

وقد وردت ايضاً الابيات الثلاثة الاولى من هذه القطعة في الوجه الثاني من الورقة ٨٥ وروى فيها « أُرُوش » بدل رواش. وقال هناك في الشرح «... القزر بن شريك اخو الحوفزان والاروش دون الديات من جراحات وما اشبهها »

وآخر بيت من هذه القطعة هو الذي اثبتناهُ في الشعر المنسوب للاخطل. (راجع الديوان السطر ١١ من الصفحة ٣٩٧) وهو:

وما كانت الحيّاء فينا مربّة ولا عُدّ النوربن ذاك المقدَّمُ

٤ في الوجه نفسهِ قطعة ذات ٧ ابيات واوَّلها:

يا يومنا عندها عُد بالنعيم لنا منها ويا ليلتي في بيتها عودي

٥ في الصفحة الاولى من الورقة ٧٦ قصيدة تحتوي على ٨ ابيات

وقال الاخطل عن ابي عمرو وحده:

ألا يا اسلمي بالسَّعْدِ يا أُخْتَ دارِمٍ وَلَوْ شَتَّ صَرْفُ مِنْ نَوًى لم تُلايِمِ

٦ وفي آخر الصفحة ذاتها تبتدئ قطعة محتوية على ٩ ابيات. وقال الاخطل رواها. ابو عبد الله ايضاً وقرأناها عليهِ:

أيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نُبَانَةَ بِالحِصْنَيْنِ وَابْنَ المُحَلَّقِ

وفي الشرح: « هذان كلابيان والحصنان بالموصل »

٧ في الصفحة الاولى من الورقة ٧٩ قصيدة تحتوي على ٢٠ بيتاً ومطلعها:

أَلَا لَا تَلُومِينِي عَلَى الخَمْرِ عاذِلا ولا تُهْلِكِينِي إِنَّ فِي الدَّهْرِ قَاتِلَا

ذَرِينِي فَإِنَّ الخَمْرَ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى وَلَوْ كُنْتُ مَوْغُولًا عَلَيَّ وَوَاغِلَا

وفي الاصل « عاذلًا » مع التنوين. وقال في الشرح: « المَوْغُولُ المَدْخُولُ عَلَيْهِ وهو يَشْرَبُ وَالوَاغِلُ الدَّاخِلُ عَلَى القَوْمِ فِي شَرَابِهِمْ »

٨ في الصفحة الثانية من الورقة ٨٠ خمسة ابيات. اوَّلها:

وقال الاخطل ورواها ابو عبد الله ايضاً:

لَمَّانَ عَلَى فِتْيانِ بَكْرِ بن وائلٍ وتَغْلِبَ أَصْمادٌ بِذَاتِ الجَحَافِلِ

وقال في الشرح: « هذه ابلٌ أُخِذَتْ وهذا اسمُها يُريدُ ذاتَ الجحافل »

٩ في الصفحة الاولى من الورقة ٨١ قصيدة من ٩ ابيات يهجو بها رجلًا من بني عبس وهذا مطلعها :

رَاحَ القَطِينُ من الثغراء او بكرو وصدّقو من نهار الامس ما ذكرو

(راجع الديوان المطبوع الصفحة ٩٨ السطر ١٦ حيث روى « الشعراء » بدل الثغراء)

١٠ في الصفحة الثانية من الورقة ٨١ قصيدة تحتوي على ٣١ بيتًا اوردنا منها البيتين الأوّلين في ما اثبتناهُ من الشعر المنسوب للاخطل (راجع الصفحة ٣٨٤ من الديوان المطبوع السطر ١٤ و١٧)

لِأَسْماءَ مُحْتَلٌ بِنَاظِرَةِ البِشْرِ قَدِيمٌ وَلَمَّا يَعْفُهُ سَالِفُ الدَّهْرِ

وفي لفظة « محتل » في الاصل حقّق اللام بكاف صغيرة فوقها فاراد محتكّ

١١ في الصفحة الاولى من الورقة ٨٣ قصيدة ذات ١٩ بيتًا اوّلها :

أَلَمْ تَشْكُرْ لَنَا كَلْبٌ بِأَنَّا جَلَوْنَا عَنْ وُجُوهِهِمُ الغُبَارَا

ومن هذه القصيدة البيت الذي نسبناهُ للاخطل واثبتناهُ في الصفحة ٢١١ في الحاشية السطر ٢١ وقد تحققنا الآن ان ضبط الكلمتين « وأنتُهِكَ القرارُ » كان غلطًا والصواب « وانتَهكَ القَرَارَا » وورد في شرح النسخة البغداديّة : « هذا حاتم بن النعمان الباهلي وكان قُتل يوم الثرثار وهو يوم قتل عُمَيْر بن الحباب. وانتهاكه اجتهاده في القرار » (راجع تاريخ ابن الاثير ٤ : ١٣٢ طبعة مصر وديوان الاخطل ٣٨٥ السطر ١٠)

١٢ في الصفحة الثانية من الورقة ٨٤ قصيدة حوت ١٣ بيتًا وقال الاخطل يمدح جرير بن عبد الله الجبليّ (راجع طبعتنا لديوان الاخطل الصفحة ٣٨٠ السطر ٢٣) ومطلع القصيدة:

حَلَّتْ سُلَيْمَا بِدَوْغَانٍ وَشَطَّ بِهَا غَرْبُ النَّوَى وَتَرًا فِي خَلْقِهَا أَوَدَا

امّا سائر القطع التي لم نذكرها فهي عبارة عن بيت او بيتين او ثلاثة على الاكثر. فلا حاجة الى اثباتها هنا لاننّا انّما اردنا ان نعرّف ما يهمّ ممّا انفردت به هذه النسخة

هيت وينابيعها المعدنيّة

لجناب الدكتور الفاضل نابليون ماريني البغدادي

(لفظها) سُمّيت هيت بهذا الاسم لانها في هوّة من الارض انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (عن ابن السكيت). قال روبة: «في ظلمات تحتهنّ هيت» اي هوّة من الارض. وقال ابو بكر: «سميت هِيتُ لانها في هوّة من الارض والاصل فيها هِوْت فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها» وهذا مذهب اهل اللغة والنحو. وذكر اهل الاثر انها سميت باسم بانيها وهو هيت بن السَبَندى ويقال البَلَندى بن مالك ابن دُعر بن بُوَيب بن عنقاء بن مَدين بن ابرهيم عم. وهذا هو راي العرب الّا ان اللفظة قديمة غير عربيّة وفي محاولة اشتقاقها من هذه اللغة تمحُّل ظاهر

وكانت تعرف عند الاقدمين بلفظة إيس (Is) المقطوعة من ايوبوليس (Æiopolis) وما هيت الّا إبدال «إيس» وهي بلدة من العراق العربي على الضفّة اليمنى من الفرات تبعد خمسة مراحل عن بغداد او نحواً من اربعين ساعة على سير القافلة. وهي من المدن العريقة في القدم يعرفها الاشوريون والكلدانيّون حتى ان أرجل هيرودوتس وطئتها يوماً من حياته ولم يغفل عن ذكرها في رحلته الى بابل اي خمسمائة سنة قبل المسيح. وان امعنّا النظر في الاعصُر الاولى رأينا بقعة هيت معروفة حتى عند بني آدم من قبل الطوفان. والبرهان على ذلك هو ان نوحاً لمّا بنى تابوته طلاهُ بالقار من داخل ومن خارج ليصارع امواج المياه الهائجة ويمنع المطر من الدخول اليهِ (سفر التكوين ٦: ١٤). وعندي ان ذلك القير أُخذ من بقعة هيت وليس من سواها. اذ لم يوجد حُمَر في كل ارض شنعار (وهي العراق العربي الحالي) وتتنفذ الّا في موضعين هما: هيت ونينوى. وكانت الاولى تبعد عن بابل ثلاثين ساعة. واما الثانية فتبعد عنها أحد عشر يوماً فتكون ارض هيت أقرب الى نوح من الثانية كما هي اليوم

وبعد الخروج من التابوت سكن نوح واولاده ارض شنعار التي فيها أُقيم البرج الشهير والمدينة العظيمة بابل (سفر التكوين ١١: ٢ و ٤) وليس الحقيقة ببعيدة عنّا اذا قلنا

ان نوحاً كان يسكن ايضاً تلك الاصقاع من قبل الطوفان. ولدينا على ذلك براهين دامغة مأخوذة عن ائمة التاريخ ونطاق هذه المجلة يضيق عن نقلها ومن احبَّ التفاصيل فليطالع فرنسوا لنورمان الذي يُثبت للقارئ وجود الفردوس الارضي في العراق العربي

ومن هيت اخذ ايضاً اولاد نوح قيرًا عوضاً عن الطين لإقامة برج بابل رغبةً في تمكين البناء وتصليبه لمناطحة فواعل الطبيعة ومكافحة عوامل الزمان المريعة

ومن هيت ايضاً أُخذ القير لبناء بابل قبل ان يبلبل الله اللغة الاصليَّة (سفر التكوين ١١: ٤ و ٥) وعلى مرور الدهور لمَّا اندكَّت اسوار بابل قاعدة مملكة الكلدان اعاد الشعب حينئذٍ بناءها بالآجرّ عوضاً من الحجارة وبالحُمَر عوضاً من الطين والكلس ولزيادة التأكيد نورد كلام هيرودوتس: «... فانَّهم كانوا كلما حفروا جانباً من الخندق يُلَبِّنون ترابه لبناً وكلما حصل لديهم جانب منهُ يشونهُ بأتاتين ثم يلصقونه بالحمر الحمي الخ...» (راجع الكتاب الاول من تاريخ هيرودوتس)

وفي عصر البابليين كان الانسان اذا اراد ابقاء آثاره وتصليبها اقامها بالقار وهكذا كان يصنع عواهلهم منهم نبوخذنصر اذ يقول في احدى العاديات الموجودة في المتحف البريطاني: « انا نبوخذنصر قد امرتُ ببناء هيكل الاله نبو في بابل بالآجرّ والقير حسب اصول الفنّ الخ ». وكان كل ذلك القير يُستخرج وتتنذ من هيت المجاورة لاراضي بابل

فيظهر اذًا ممَّا اوردناهُ ان بقعة هيت كانت ولم تزل حتى هذا اليوم مخازن الحُمر الطبيعيَّة التي لم تنفد ولن تنفد. وكل سنة تأتي هيت سفنٌ عديدة لتشحن منها اقراص القير الجامد قناطير مقنطرة لتبيعها في بغداد والبصرة والعمارة والحلَّة وسائر البلدان العراقية. ويستخدمهُ العراقيُّون لإطلاء الحمَّامات والسواقي والاحواض وما ضاهاها. الَّا اهل هيت فانهم يستعملونهُ لبناء بيوتهم وطلاء الاباريق والجرار والأقداح المصنوعة من سعف النخل

(موقعها) ان موقع هيت القديم كان في سهل مستوٍ بعيد عن الفرات باميالٍ ينتهي اليها شعبة منهُ كما يؤكد ذلك ما قال عنها هيرودوتس: « وعلى مسافة ثمانية ايام من بابل مدينة «إيس» وهي راكبة على شاطئ نهر صغير يُعرف باسمها ويدفع في نهر الفرات وتجرّ مياهه كثيرًا من الحمر »

امّا اليوم فقد تحول موقعها من السهل الى تلّ عالٍ اصبح الفرات عند أسفله ملتصقاً بالبيوت وليس لتلك الشعبة من وجود وسبب ذلك هو ان مجرى النهر اخذ يتقدّم رويداً رويداً حتى أكل الارض التي امامه فابتلع الشعبة واتصل بالبلدة ذاتها كما هي عادة الانهر الطبيعيّة

واذا مررتَ اليوم بهيت رأيت بيوتهــا كلها قائمة على ذلك التلّ المشرف على الخضراء ما وراء النهر . ومن العَجب العجاب ان التلّ المذكور وحيد في بابهِ لا يوجد سواهُ في كلّ تلك البقاع المستوية السحيقة المنال الفسيحة المجال التي لا تُرى فيهــا حجارة البتة حتى ولو مشيت فيها مسافة اربعة أيام شرقاً او غرباً شمالاً او جنوباً . وعندي ان ذلك التلّ نشأ عن تراكم التراب بعضهُ فوق بعض وهو التراب الذي يخرجهُ الهيتيون من الارض طلباً للقير كما هو جارٍ اليوم بجوار البلدة وهذا ما يترجم للناظر المتأمل عن حقيقة ادعائي وماذا يرى الناظر ؟ يرى هنالك ينابيع من الحمر تبعد ثلث الساعة عن البلدة محاطة كلها بمرتفعات من التراب يزيد علوها يوماً عن يوم . كلما حُفرت الينابيع واستُقصي اثرها لتوسيع نطاقها او وجدانها اذا نضبت يوماً او غارت في الارض كما هي شرائع الطبيعة في طبقات البسيطة

والظاهر للعيان انهُ كان في سالف الزمان عيون حُمَر عند اسفل ذلك التل القائمة عليهِ البلدة من جهة الشرق ومما يؤكد مقالنا ويدعم زعمنا وجود هُوَّات عديدة في هذا اليوم فيها آثار قير جامد واذا تفحّصت عن ماهيّة هــذه الهوات اجابك على الفور جميع الهيتيين انها كانت ينابيع ينبط الحمر من افواهها

(مساكنها القديمة والحديثة) اذا تفقد الزائر بعين الدقّة والانتباه آثار بيوت هيت القديمة اعترف بلا مراء بانهــا كانت مبنية بالآجرّ او باللبن مع الطين الاحمر على هيئة مربَّعات ملتصقة بعضها ببعض وكل مربّع قائم بذاتهِ منقسم الى عدة قطع صغيرة ذات طبقة واحدة كما هو شائع اليوم عند عموم اللبنانيين الفقراء

امّا مساكنها الحديثة فلا تختلف عن القديمة بما يستلفت النظر اليهِ الّا انها قائمة على التل مبنيّة ايضاً بالآجرّ والطين الاحمر او باللبن مع القير او مع الكلس كلها ملتصقة بعضها ببعض ذات طبقة واحدة واطئة لا يستثنى منهــا الّا ثلاثة مساكن ذات طبقتين واطئة فعالية مبنيّة على الطرز البغدادي اي ان صحن الدار مكشوف للسماء

غير مسقوف ولها نوافذ واسعة ومقاصير تطـل على النهر مدهونة بالصبغ الملوّن من داخل ومن خارج

امّا ترتيب سائر مساكن الهيتيين ففي ادنى درجة من البداوة فاذا تأمّلتَ مثـلًا خارجها رأيتهُ مكوّنًا من ثلاثة حيطانٍ والحائط الرابع لاصق بمسكن آخر ولا تجد في كل جهاتهِ الثلاث سوى ثلاث نوافذ لا بل شقوق مستطيلة الشكل لا يزيد عرض الواحد على شبر الرجل وهي مفتوحة ليلًا ونهارًا لا تُسدّ الّا عنـد قرب الشتاء بقطع من الطين او بثياب بالية . واذا دخلتَ مسكنًا اقتضى لك اوّلًا ان تتقبّض وتروي جسمك لتتمكّن من المرور بالباب على ضيقهِ . والباب منتوح على صحن الدار راسًا بدون درج وبدون عتبة . واوّل ما يفعل فيك هو انبعاث رائحة القير المطليّة بهِ جدران البيت من داخل ثم رائحة الغازات الصادرة عن اجسام سكّانهِ . وصحن الدار مسقوف لا يدخلهُ الهواء والنور الّا من الشقوق المستطيلة المذكورة ومن الباب ايضًا . ثمّ ان المسكن كلهُ مظلم يشتمل على مقصورتين صغيرتين واحدة للمؤونة والثانية للنوم . والصحن يحتوي على التنّور ومخزن الماء والمستراح والمطبخ . هذا ومساحة البيت كلهِ لا تزيد على عشرة امتار مكعبة او خمسة عشر مترًا اذا كان صاحبهُ غنيًّا

قلتُ ان مساكن هيت مبنيّة كلها على التل الّا انهُ يوجد في السهل خانات بسيطة البناء لسكنى القوافل ايّام الشتاء وكانت البلدة القديمة وسط السهل حتى استيلاء المسلمين عليها ولم تتحول الى التلّ الّا من مدّة غير بعيدة وسبب ذلك انما هو طغيان الفرات ايّام الربيع الذي يجرّ وراءه البيوت باثاثها واصحابهـا . ولا حاجة الى ذكر الاضرار اللاحقة بالهيتيين من جراء ذلك وبناء عليهِ احوجتهم النكبات الى نقـل مساكنهم الى ما فوق التل تخلّصًا من الغرق والخراب

ومن اعجب الامور انهُ لا يوجد في كل هيت الّا ثلاثة طرق والبقية كلها ارتاج اي طرق ضيّقة لا منفذ لها عرض الواحد منها ثُلثا المتر وعرض الطرق المعهودة متر واحد او ما ينيف عليهِ . والسوق فيها عبارة عن عشرة دكاكين لا غير لاصقة بحيطان المنـازل واكثر ما يُعرض فيها التمر واللحم والبيض والخبز

(سكّانها القدماء والحاليون) اذا أصغى الانسان الى تقاليد الهيتيين الحاليين رأى الجميع يشهدون بلسان واحد على ان سكّان هيت القدماء هم يهود من خيبر

وتأكيدًا لقالهم واسنادًا لتاريخهم يشيرون باصابعهم الى منازل اولئك النكودي الحظ التي اصبحت اليوم خرابًا

وعندي ان لتقاليد الهيتيين جزءا من الحقيقة ان لم تكن الحقيقة كلها . فمن ذا الذي ينكر علينا اذا قلنا ان اليهود كانوا سكّان هيت القدماء قبل الفتح الاسلامي . والبرهان على ذلك ما أخبر ياقوت في معجم البلدان حيث قال انَّ سعدًا لمَّا وصل العراق أنفذ جيشًا الى هيت سنة ١٦ هجريَّة وامتلكها وامتدَّ منها فواقع منهُ اهل قرقيسيا وبهذا المعنى انشد عمرو بن مالك الزهري :

تطاولتْ أيامي بهيت فلم احم وسرتُ الى قرقيسيا سير حازم
فجئتهمْ في غرةٍ فأحتويتُهـا على عنفٍ من اهلها بالصوارم

والظاهر ان اليهود قد جاهروا بالعصيان وتشنّوا ولم يريدوا ان يسلّموا بلا حرب لائتلاف كلمتهم والاعتماد على كثرتهم فسدّوا دونهم باب التساهل حتى احوج الامر المسلمين الى ارسال عسكر جرار لمقاومتهم واخذ البلدة عنوةً ولمَّا دارت الدائرة على اليهود قُتلوا حزًا بالسيف ودُكَّت منازلهم عن آخرها تنكيلًا بهم ولم يقم لهم قائم حتى استيلاء الدولة العثمانية نصرها الله على هيت فسار اليهود ثانية اليها من بغداد تحت راية الامان وساكنوا اهلها المسلمين حتى يومنا هذا

وربَّ قارئ يعترض علينا بسؤاله الآتي : ومن اين أتى يهود خَيبَر او اليهود عمومًا وسكنوا هيت وتحصنوا فيها قبل الفتح الاسلامي . اقول امَّا انَّهم ساروا اليها من بابل بعد سبيهم على يد نبوخذنصر العاهل الكلداني وهو الراي الاصح (راجع سفر اخبار الأيام الثاني الفصل ٣٦ :١٧و ٢٠ سفر الملوك الرابع الفصل ٢٤ : العدد ١١ الى ٢٠) . وامَّا انَّهم قصدُوها من مدينة خيبر ببلاد العرب على طريق الشام اذ المسافة بين هيت والشام لا تزيد كثيرًا على المسافة التي بين هيت وبابل . ومن اراد الاطلاع على يهود مدينة خيبر واصلهم وكيفية استيطانهم لها فعليه بكتاب فرنسوا لنورمان المجلّد الخامس

امَّا سكَّانها الحاليُّون فهم مسلمون ويهود فقط ويبلغون نحوًا من ألفي نسمة او ما ينيف على ذلك فالثلثان منهم مسلمون والثلث الآخر يهود ولغتهم العربيَّة الرخوة اللفظ

(زيهم وحالتهم الادبيَّة الخ) ان زيّ الهيتيين الحالي هو كزي البغاددة المسلمين فيلبسون القباء (الغنباز) والقميص والعباء (المشلح) والطربوش والكوفية مع العقال والحذاء الاحمر (وهو اليمني بلسان العراقيين) . وهم اناس اميُّون لا يعرفون الحيّ من الليّ وقلّما تجد بينهم من يعرف القراءة العربيَّة والكتابة فيها ومنهم من يفلح الارض ومنهم من ينسج من سعف النخل الحبل والزُّنْبَة والقدح والجرَّة والخابية والصينيَّة والصَّفد والعلبة الصغيرة والطبق والسلَّة الخ . ولنسائهم اليد الطولى في شغل هذه الحاجات وبعد الانتهاء من حياكتها تُطلى بالحمر من داخل ومن خارج كي لا يخرقها الماء . ثم تُعرض للبيع على اهل القافلة ذهابًا وايابًا . ومنهم من يستخرج الملح والحمر من الينابيع المعدنيَّة فتحملهما على الفرات سُفن شراعيَّة وتنقلهما الى جوار بغداد ومن هناك يُنقلان على ظهر الدواب الى المدينة ذاتها حيث يباعان باثمان جيّدة . ومن بغداد يُنقل القير الى سائر بلدان العراق كالبصرة والعمارة والحلَّة والمنتفق وسوق الشيوخ وعانة الخ

امَّا اراضي هيت فلا تصلح للزراعة لاحتوائها على مواد مضرَّة بالزرع كالاملاح الزائدة وخصوصاً كلورور الصوديوم (ملح الطعام) الذي يميت النبات وييبسه . امَّا الجهة الغربيَّة منها فمزروعة نخلًا وقليلًا من اشجار الليمون والبرتقال وغيرهما لكن النخل فيها ضعيف قصير لا يحمل ثمرًا الَّا نصف الكميَّة المعهودة كل ذلك لوجود الاملاح السامَّة ولم ارَ قط تلك الرياض الضاحكة والبساتين الرائقة التي اتى على وصفها ابو عبد الله محمد بن خليفة السِنْبِسي شاعر سيف الدولة صدقة بن مَزْيد اذ يقول:

فمن لي بهيت واياتها | فانظرَ رستاقها والقصورا
فيا حبذا تيك من بلدةٍ | ومنبتها الروض غضًّا نضيرا
وبرد ثراها اذا قابلت | رياحُ السمائم فيها الهجيرا

ولم يزل الهيتيون حتى اليوم يستخدمون النواعير لسقاية زروعهم كما كان يفعل ذلك الاشوريون والبابليون . وما ارقَّ ما قالهُ بهذا الشان ابو عبد الله محمَّد السنبسي المذكور :

احنُّ اليها على نأيها | واصبر عن ذاك قلبًا ذكورا
حنين نواعيرها في الدجا | اذا قابلت بالضجيج السُّكورا
ولو ان ما بي باعوادها | منوطًا لأعجزها ان تدورا

وهذا القول مما يؤكد كلامنا ان استعمال النواعير في هيت ظلَّ جاريًا الى صدر الاسلام. وفيها عدَّة مزارات اغلبها لأئمة اللغة ولم يعلق بذكري اسماؤها لكثرتها وطول ألقابها فاجتزأتُ بذكرها تنبيهًا على ذلك

(ينابيعها المدنيَّة) لقد خصَّ الله بقعة هيت بنعم طبيعيَّة غزيرة الثمن وعزَّزها بغرائب نادرة وهي الينابيع المدنيَّة المنوطة بها ارباح السواد الاعظم من الهيتيين. ولو كان هؤلاء أعلم مما هم عليهِ اليوم لاستخرجوا من تلك الينابيع عيونًا تقطر ذهبًا. وكثرًا يصب عليهم من الخيرات تِرْبًا. فهي تحتوي على الحمر والملح والقصفور والكبريت الخ. كل ذلك تعويضًا لهم من عند الخالق عمَّا حرمهم اياهُ من الحبوب والزروع التي لا تنبت عندهم. وتمهيدًا لذلك اقول ان ارض هيت سبخة مالحة مطمئنة ترابيَّة محضة قلَّما يوجد فيها الحجر الصلب وحيثما حفر الانسان يقع بلا ريب وبلا انتظار على قير ومياه كبريتيَّة مالحة منها حارَّة ومنها باردة. وبناءً عليهِ فالينابيع فيها عديدة كلها موجودة بجوار البلدة منها ما يبعد مسافة خمس دقائق ومنها عشر دقائق ومنها عشرين ومنها ساعتين. ولقد زرت منها بنفسي اربعة ينابيع اثنان منها حمَّات حارَّة وتأملتُ مليًا كيفيَّة اندفاع الماء من اعماقها الى ما فوق سطح الارض وطريقة جمع الحمر من على وجهها فانطقتني لسان الحال قائلًا: سبحانك اللهمَّ ما اعجبك في اعمالك

ودونك عن اهالي هيت اسماء احد عشر ينبوعًا ممتازة بما خصها الله من المنافع: ١ً عين لُطيف تنبع حُمَرًا. ٢ً عين الذهبي تعطي حمرًا ايضًا. ٣ً عين دُرُوبي حُمَريَّة ايضًا. ٤ً عين لاتي يستحمّ فيها المرضى طلبًا للشفاء. ٥ً عين معمورة تعطي « قِسطًا » وهو القير الذي يُعلك. ٦ً عين الملح تفرز ملحًا وقسفورًا وحُمَرًا. ٧ً عين المرج تعطي قسطًا. ٨ً عين المطاعط تعطي قيرًا فقط ولا يوجد فيها قطرة ماء البتة. ٩ً و١٠ً و١١ً عيون الجُرَب سُميت بذلك لانها تشفي الانسان من الجرب

هذا واذا رغب الناظر الدنوّ من الينابيع المذكورة فانهُ لا محالة يسقط على الحضيض مغميًا عليهِ وذلك لما ينبعث منها من الروائح الكريهة السامَّة كالحامض السولفدريك والحامض القسفوريك والحامض الكبريتيك الخ

واقواها رائحة عين دُروبي وهي التي تبعد عن البلدة مقدار ثلث الساعة فيها يندفع الماء الى علوّ متر ونصف متر عند اشتداده العظيم. ومع الماء يخرج الحُمَر كُتَلًا كُتَلًا

صغيرة الحجم وكلّما همدت قوّة الاندفاع حفرها صاحبها وتتبّع آثارها في اعماق الارض وذلك الماء المتبجس عكِر ولهُ دويّ عظيم يُسمع على بعد خمس دقائق يسخن صيفًا ويبرد شتاء ولا تنقص كميّتهُ ولا تزيد وتعطي العين يوميًا من اربعين الى مائة حمل حمار من الحُمَر الفاخر والهيتيون يستأجرونها راسًا من الحكومة ويدفعون لها ريالًا واحدًا عن كل اربع وعشرين ساعة

امّا عين الملح فيسخن ماؤها شتاء ويبرد صيفًا ولها بقبقة خفيفة لا تُسمع الّا عن قرب. ويسري ماؤها الى مسافة بعيدة ثم يوزع الى اقسام عديدة من الارض حيث يستمر فيها مدّة ستة اشهر وبعد تبخُّرهِ يركز الملح طبقات بعضها فوق بعض يبلغ سمكها من السنتمرين الى الخمسة عشر سنتمترًا وهو ابيض اللون جيد الطعم يُوسق منهُ سنويًا سُفُنًا طافحة الى بغداد والى جوارها. ولقد احوجني الاختبار الى ان آخذ منهُ قبضة وأستعملهُ في الطعام فكان لذيذًا لا يفرق عن الملح الاعتيادي بشيء. والهيتيون كلهم لا يستعملون سواه في طعامهم. امّا البغداديون فلا يستخدمونهُ الّا في الدباغة

وهذه العين ذاتها تُجري حُمرًا وموادَّ قسفورية. ترى الاوّل طائفًا على وجهِ العين كُتلًا صغيرة وهي كلما كثرت وتجمعت كميته التقطها صاحبها. والعين على سواء الارض مكشوفة للهواء مستديرة الشكل يبلغ قطرها مترًا واحدًا ولا يُحيط بها الّا دائرة من التراب صدًّا للمياه النابعة كيلا تطفح وتصبّ من كلّ الجهات. وللماء منفذ واحد غِلَظهُ كغلظ الزند ومنهُ يجري في ساقية مكشوفة ومنها الى الدَّبْر والمشاور

اما الموادّ القسفورية فتراها سابحة جامدة على سطح الماء تنبعث منها تلك الرائحة المشهورة التي تغنيك عن وصفها وكنهها. واذا كان الانسان جاهلًا خواص القسفور ومفاعيله في الجسم ولمس تلك الموادّ فانهُ لا محالة يحترق كما جرى لبعض الهيتيين الذين يعترفون للسائح بان عين الملح تنبع نارًا طبيعيَّة ولهذا لم يجسر احد على جمع تلك المواد الثمينة وبيعها لجهلهم بها حتى اليوم الحاضر

ويقول الهيتيون ان واحدًا من كيماويي المدرسة الشاهانيَّة في الاستانة زار ينابيع هيت لاستثمارها واخذ شيئًا من ماء عين الملح وفحصهُ بالكهربائيَّة فاسفرت النتيجة عن ان تلك العين تحتوي على كميَّات وافرة من كلورور الصوديوم (ملح الطعام) والقسفور

والكبريت وانها تصلح لعلاج الامراض الجلديَّة والامراض الناتجة عن سوء الهضم وتلبُّك المعدة والجرب الخ. وانا اول من يوافق على هذا الراي وعلى اختبار مفاعيلها

وبقيتْ هناك فوائد شتى قد ضربنا صفحًا عن ذكرها لانها ليست من باب هــذه النشرة والسلام

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

مكتبة دير مار شليطا (تابع)

٩ الكتاب التاسع كتاب رتبة القداس الالهي نُسخ سنة ١٥٧٠ وعلى الصفحة الاولى فهرست النوافير المتضمنة في هذا الكتاب مع تعيينها لتذكارات مختلفة وعدد هذه النوافير ستة: ١ً ܕܩܘܣܛܘܣ ܠܥܢܝܕܐ (نافور قسوسطس للموتى). ٢ً ܕܝܘܚܢܢ ܠܚܕ ܒܫܒܐ (نافور مار يوحنا ليوم الاحد). ٣ً ܕܦܛܪܘܣ ܠܣܗܕܐ (نافور مار بطرس للشهداء). ٤ً ܕܬܪܥܣܪ ܫܠܝ̈ܚܐ ܠܡܠܐܟ̈ܐ (نافور الرسل الاثني عشر للملائكة). ٥ً ܕܡܪܝ ܩܘܪܝܠܠܘܣ ܠܟܠܝܘܡ (نافور مار قوريلّس لكل يوم). ٦ً ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܠܥܐܕ̈ܐ ܡܪ̈ܢܝܐ (نافور مار يعقوب للاعياد السيديَّة)

وهذا النوع من تعيين النوافير لتذكارات مختلفة قديم جدًا في الكنيسة السريانيَّة وقد اشار الدويهي الى تعيين نافور مار يعقوب في تذكار الاعياد السيديَّة (طالع المنارة صفحة ١٤٨ من المجلد الثاني). وكذلك قد عيَّن علامّتنا المذكور في كتابهِ في النوافير السريانيَّة الذي سنأتي بوصفهِ ان شاء الله كلًّا من النوافير التي جمعها لتذكارات مختلفة. والمجمع اللبناني حتم بمراعاة هذا الامر من تعيين نوافير خاصَّة ببعض الاعياد والتذكارات في الباب الثالث عشر (ص ٢٠٩). وهذا ما يبطل قول الاب دنديني الذي زعم (في الفصل الرابع والعشرين من رحلتهِ) انهُ لا يوجد عند الموارنة سوى قداس واحد وقد تعقَّبهُ العالم ريشار سيمون في الحواشي التي علّقها على كتاب رحلة الاب دنديني

الذكور (طبعة باريس سنة ١٦٨٥ ص ٣٢٩) ولا نعجب من ذلك فان الاب دنديني قد ارتأى هــذا الرأي لجهله لغتنا السريانية وطقوسنا مع انهُ لو تأمَّل كتاب القداس المطبوع لاوَّل مرَّة الذي احضرهُ معــهُ للسيد البطريرك من رومية لوجد فيهِ اثني عشر نافورًا ولكان البطريرك سعى بطبع كل النوافير الموجودة في طقسنا لو تيسر لهُ ذلك

ولهذه النوافير المتضمنة في هذا الكتاب الذي نحن في صدده صور مختلفة للتقديس بخلاف كتاب قداسنا الذي طُبع لاوَّل مرَّة في رومية فقد اسقط توما طراف منهُ كما افادنا الدويهي صور التقديس المختلفة وعمد الى صورة واحدة اخذهــا عن الكنيسة الرومانيَّة وكلُّ يعلم استياء السيد البطريرك من هذا العمل ومنعهُ التقديس في الكتاب الى مدة (طالع منارة الدويهي)

امَّا مجمعنا اللبناني فانَّهُ انتبه الى هذا الامر وقرَّر هذه الصور المختلفة للتقديس بشرط ان يعترفها السيد البطريرك ويُعنى بها (طالع المجمع اللبناني ص ١٧٩)

نقول اخيرًا ان لهذا الكتاب الخطّي حلى خاصة بهِ من حيث درس تاريخ رتبة قداسنا وما جرى عليها من التغييرات منذ طبع كتاب القداس لاول مرَّة في رومية الى يومنا وسنفرد لهذا البحث مقالة خاصَّة ان شاء الله معتمدين على هذا الكتاب

وممَّا يستحق الذكر حادثة تاريخيَّة علَّقها الناسخ على آخر صفحة من نافور القديس يوحنَّا الحبيب وهاكها بالحرف:

« سنة ١٥٧٠ ربانية بعد ميلاد الرب كتت انا الحقير بقوزحيا بكتب بهذا الكتاب هنا انتقل المقدم رزق الله مقدم بشراي (١ ودخلوا الاسلام الى قبرص نقدُّوا في الملَّاحة وبدوا يحاصروا في الافقسية من اول صيام النصارى الى سابع يوم من ايلول دخلوا الافقسية وملكوها. . . وبعد ذلك بدوا يحاصروا الماغوصة حتَّى فراغ بارود اهلها واكولهم فخرج القبطان الى عند مصطفى باشا في منديل الامان وسلمهُ المدينة وحكموا البلاد جيد هذا تخبرنا من اهل قبروس ومن الخبر الطالع بين الناس » انتهى. وقد ذكر العلاَّمة الدويهي خلاصة هذا الحادث في تاريخهِ المطبوع ص ١٧٢ بتخلص مع بعض اختلاف وتابعه صاحب الدرّ المنظوم

١٠ الكتاب العاشر نسخ سنة ١٥٧٩ م سنة ١٨٩٠ للاسكندر وهو عبــارة

١) طالع تاريخ الدويهي ص ١٧١

عن كتاب يحوي ميامر السروجي وموسى الحجري مترجمة عن السريانية الى العربيَّة مكتوبة بالكرشوني وفي آخر هذا الكتاب زجليَّة في مديح القديس بهنام بخط يختلف عن خط ناسخ الكتاب وهاك الابيات الاخيرة منها ففيها بعض فقر تاريخيَّة لا تخلو من الاهميَّة:

هذا ما قال النشيم في مدحه عقلهِ بين الناس كالجواني
تمت في عدد السنين بكورها (١ تسعين سنة لسكندر اليوناني
قال الحقير سركيس (٢ بثوب الرهبنة خادم لمار بيشوى الطوباني
بايَّام المنبوط بطرك عزّنا (٣ طابع لكرسي بطرس الروماني
وهذا البابا يحب سبطنا غريغوريوس قديس رجل حقاني (٤
وانا الوكيل محبوب كثير من شعبنا كردينال كرافا (٥ ما قام لهُ ثاني

١١ الكتاب الحادي عشر نسخ سنة ١٦٠٩ بقطع ربع كُتب بالكرشوني يحتوي على ٦٠٤ صفحات ونيف فقد فُقدت منهُ بعض اوراق في آخرهِ كما سترى وهذا المجلد يحتوي على اكثر مؤلفات الاسقف جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي الماروني العالم الشهير. فعلى الصفحة الاولى من هذا المجلد ترى العبارة الآتية بالحرف:

« على خيرة الله وحسن توفيقهِ ابتدي اكتب من بعض مقالات الآباء القديسين ضد هؤلاء الذين ينكرون ان ليس في سيدنا يسوع المسيح طبيعتين بعد اتحاده. بمعونة الله ابتدي عن الثالوث المقدس... نبتدي بارشاده وتأييده ومساعدتهِ بكتب اعتقاد الامانة الصحيحة بالثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس الاله الواحد وانَّنا نوضح ذلك ونبيّنهُ كيف كان حلول الكلمة الله الاب في مريم البتول واتلاده منها واتحاد الكلمة الالهيَّة بالجسد وتوفيق الطبايع والاقانيم في الجوهر اللاهوتي والناسوتي الخ... »

وعلى الصفحة الثانية ترى غرض المؤلف من هذه العبارة:

« حتَّى يتعلم ويتنقه كل من يقاف (يقف) على لفظنا هذا من سائر الآبا البطاركة والمطارنة

١) يعني سنة ١٨٩٠ من سني الاسكندر التي يقابلها سنة ١٥٧٩ م

٢) هو سركيس الرزي الذي رقي الكرسي البطريركي بعد ان كان معتقاً البيشة النسكيَّة في حبس قزحيا. ومار بيشوى محل في الحبس المذكور

٣) هو البطرك يوسف الرزي اخو سركيس المذكور

٤) هو غريغوريوس الثالث عشر مؤسس مدرستنا المارونية في رومية كما هو مشهور

٥) الكردينال كرافا الشهير باحسانهِ الى طائفتنا وخصوصاً لمدرستنا المارونيـة اذ اوقف لها كامل متخلفاته

والاساقفة وسائر الكهنة والشمامسة وجميع الشعب المؤمن المسيحيين اهل جبل لبنان الموارنة الذين تفسيرهم الربانيين (١ اعني الخاصين بربنا يسوع المسيح» ويلي قولهُ هذا شرح المتقدّم و يصدّر كلامهُ بالعبارة الآتية : « نكتب نحن الموارنة هذه الامانة المقدسة التي نؤمن بها » وينتهي هذا الموضوع في الصفحة ٨٣ حيث يختم بهذه العبارة : « اذكر ايها الناظر الى المرحوم ابن القلاعي الذي تعب في نقظ (نقل) هذا الكتاب من الفرنجي للكرشوني لاجل الموارنة »

والعلاَّمة الدويهي عدّ هذا الكتاب بين مؤلفات ابن القلاعي في تاريخهِ :

ويلي ما تقدَّم كتاب آخر لابن القلاعي ضُمَّ الى هذا المجلّد نفسه وصدر الكلام فيه كما يلي بالحرف :

« نبتدي بعون الله نكتب تقدمات (٢ الكنيسة في العتيقة والحديثة »

ومن اقواله في هذا الكتاب عن الزواج عموماً وصحة الزواج الخفي عند الشرقيين ما مؤداهُ بالحرف (ف ٣١ ص ١٢٧) :

« الجواز (الزواج) هو اجتماع الرجل مع الامرأة في الحيوة بغير افتراق بينهم على بحفظ الزي والناموس. . . الجازه (الزيجة) انما في الرمي بتصير (تصير) جازه (زيجه) مع كلام الرجل للامرأة رضيتكِ في امرأتي وقولها هي رضيتكَ في جوزي (زوجي) ولا يفرق بيننا غير الموت هذا كال بغير اجتماع جسداني. . . ثاني هو اختلاط الدم وبها يدعى تمام الجيزة الصادقة »

وفي هذا الكتاب نفسه (ص ١٥٠) :

« هذه صورة الجواز (الزواج) الجوهرية بقول العريس انا ارتضيت ان تكوني لي امرأة فتجاوبهُ العروس نعم انا ارتضيت ان تكون انت جوزي (زوجي) وفي ذلك الوقت يقتبلون الايادي والصلوة والاكليل. والصلوة من راتب الكنيسة حتى يتباركون ولكن ليس من الجواهر والكتاب ليس هو بين النصارى ما خلا بين اليهود ومن يتبعهم لاجل الطلاق ولكن النصارى ليس عندهم كتاب ولا طلاق بل ايمان وشهود »

ومن الكتاب نفسه :

« من ربط كلامه مع امرأة صارت امرأته واذا اخذ غيرها يُغتصَب في الرجوع الى الاولى ويقع في بيغاميا (٣ تمنعهُ من الرسامة واذا لم يرتجع يكون تحت حرم ويقونن في خبز وماء اربعين يوماً كذلك ٣ سنين يكون مقونن صابر على اخذ الجسد (٤

---

١) اراد ان يشتق لفظة الموارنة من السريانية هدنما وهي نسبة الى مدى رب وسيد

٢) يريد بتقدمات الكنيسة اسرارها كما يستفاد من نسق الكتاب ومباحثه. ولعلَّها « مقدَّسات »

٣) بيغاميا لفظة اعجمية (bigamia) معناها تكرار الزواج

٤) اي يمنع من التقرب لسرّ جسد الربّ

وعلى الصفحة ٢٢٤ شرح الوصايا العشر لابن القلاعي وصدر الكلام كما يلي:
« ايضاً حول (١ العشرة كلمات اول اعبد الاه واحد » وفي مكتبة مدرسة عين ورقه نسخة من هذا الموضوع. وعلى الصفحة ٣٢٢ شرح على سرّ الاعتراف لابن القلاعي ومن هذا الكتاب مقالة على الصفحة ٣٢٢ عنوانها: « مقالة عن الرد الذي يكسبه الانسان في لعب الادريس والطاب (٢». وعلى الصفحة ٣٣٧ من هذا الكتاب ترى مقالة عنوانها « فرض القوانين في سر التوبة » وهذه القوانين كانت مرعية حتى زار طائفتنا الاب دنديني فاوجب ان يترك فرض القانون لحكمة المعرّف دون تقييد بالقوانين المبينة المكتتبة وهذه العادة قديمة جداً في الكنيسة كما لا يخفى على ارباب البحث. وتنتهي المقالة عن شرح الاعتراف الى الصفحة ٣٧٦ وفي ذيل هذه الصفحة ما يلي:

« هذا كفانا ما نقولهُ بشرح الاعتراف المقدس وقوانينه وفروضه في المختصر من ناموس كنيسة رومية الثابتة بالله وايّ معلم اعتراف ينصت لاعتراف الخطاة وليس يمشي في هذا الطريق بغير شك يدعى اعمى والاثنين يسقطون في الحفرة يعني في قاع جهنم »

ويلي ما تقدم موضوع آخر من مؤلفات ابن القلاعي وعنوانه:

« نبتدي نكتب ثامن مقالة نتكلم عن تقدمة (سر) دهن الزيت المقدس في ساعة الموت ومن رفضه في تلك الساعة ليس هو نصراني »

وعلى الصفحة ٣٩٤ ترى العبارة الآتية:

« اذكر ايها الاخ العزيز في صلاتك الى المرحوم ابن القلاعي جبرائيل الماروني الذي تعب في نقل هذا الكتاب من الفرنجي الكرشوني ولي انا العبد الخاطي بسم يوسف الذي ترجا صلوة الاخوة والمصلي يكون لهُ كما في قلبه »

وعلى الصفحة ٣٩٥ ترى صدر الكلام على كتاب الناموس الذي ترجمهُ ابن القلاعي عن اللغة اللاتينيَّة لافادة بني جلدته واشار اليه الدويهي في عداد مؤلفاته وهاك عبارة ابن القلاعي بالحرف:

« باسم الثالوث المقدس ابتدي ثامن كتاب من ناموس كنيسة رومية وذلك آخر كتاب من كتب الذي اختارهم الراهب استران من زهر شراء مع الناموس في المستقصر وهذا يتكلم عن الجازه (الزواج) وحدها لا غير »

وينتهي كتاب الناموس المقدَّم ذكره الى الصفحة ٥٧٢ بهذه العبارة:

---

١) يريد الترجمة عن اللاتينية بالحرف (etiam circa decalogum)
٢) راجع المشرق ٤: ٥٦٣ و ٥٦٥

« اذكر ايها الاخ الناظر الى جبرائيل الاسقف ابن القلاعي الماروني لاجل تعبه جدًا كثير وعبدك الخاطي الذي خرطش لاجل حاجته باسم يوسف من شان الله »

ثم يلي ما تقدم العنوان الآتي لموضوع آخر كذا بالحرف:

« باسم الاب . . . بمعونة الله نبتدي نكتب طغيان طائفة هراطقة في بلاد بوشنا يدعونهم باتاريني (Patarins) »

وعلى الصفحة ٥٣٤ العنوان الآتي لموضوع آخر بالحرف :

« لاجل اني كتبت كتاب آخر ضد المراطقة من كتاب تيولوجي (لاهوت) وليس حظيت بها الآن مع معونة الله ابتدي ثاني كتاب ضد ما وصفته في رتبته واخذ استشهاده وثباته من كتاب العهد يعني من العتيقة والحديثة »

وعلى الصفحة ٦٠٣ التي هي ما قبل الصفحة الاخيرة الباقية منهُ علق ناسخ الكتاب كتابة مهمة تنبئنا عن امور شتَّى كما سترى ونأسف على فقدان قسم منها في آخرها وهاكها بالحرف:

« كمل هذا الكتاب المبارك بعون الله لهُ المجد امين على يد احقر الناس وارذلهم . . . (عبارات تواضع) لاني في الجهد اجتهدت عليهِ حتى كتبتهُ . أُدعى انا الردي بالاسم يوسف وتكنى شماس بكيتونة (١ وبعيد من ذلك لاني شبه الشجرة المورقة بغير ثمار ابن المرحوم القس داود ابن الحج جرجس بيت عيسى من قرية كرسدي المحروسة بمعونة الله في جبل لبنان المبارك في بلاد الشام في معاملة طرابلس . وانا المدعو من تلميذ الاب الطوباني المعظم الجليل خالي البطرك يوسف الرزمن قرية بقوفا وثانيه الموقر اخوه خالي المطران سركيس واسأل كل ابًا (اب) واخًا (اخ) ناظر في هذا الكتاب المبارك اذا وجد غلطة او نقصة يصلحها ولا يلوم حقارتي لاني مترل النقص والله يصلح اموره امين وكتبتهُ في مدينة رومية المعظمة في بيت فوق الثلاث عيون تحت بيت البابا (٢ في جبل الخيل (٣ في شهر ايار اول يوم فيه يوم الجمعه في ٣ ساعات ونصف من النهار في سنة ١٦٠٩ م على ايام اب الآبا وراس الرؤساء سيدنا البابا بولس الخامس خليفة بطرس ونائب سيدنا يسوع المسيح وكان من تكليه ٤ سنين الرب يجرسني في بركة صلاته امين

« كتبتهُ من نسخة ابن القلاعي الاسقف جبرائيل من قرية لحفد في بلاد جبيل الله يرحم نفسه امين ووجدت نسختهُ في مدرسة الموارنة ومنهُ قول في الاول وجدته في مدرسة الرومانية عند واحد يسوعي من كتبة الحوري حنا الحصروني والناظر يطلب لاجلي من شان الله ولهُ مثل قوله امين . . . (دعاء لخاله البطرك يوسف الرزي وخاله المطران سركيس) واذكر يا رب في ملكوتك

---

١) اي شماس بالظاهر دون الحقيقة كأنهُ اكتفى بالكيتونة وهي الكتّونة من اليونيّة (χιτών)

٢) يريد سراية الكوبرينال حيث كان البابا يحل قديمًا لقضاء المهام الزمنيّة

٣) (Montecavallo) جبل في رومية

السماويّة الى اخواني المبجلين القس جرجس ابن القس مارون والقس الياس ابن المرحوم الحج حنّا ابن بولس من قرية اهدن وتعب معي في تحمير هـذا الكتاب وتقبله (١ المسيح يجازيه في التنابع آمين

واعلم ايها الناظر اننا كنّا جملة في المدينة المعظمة روميـة في جملة (٢ المكرم خالي المطران سركيس في قضي اشغال الاب الموقّر البطرك الانطاكي اخوه بعثه في سنة احد (١٦٠٧) مسيحية في شهر تشرين اول بسبعـة ايام يوم الاحد نزلنا من الدير والثلاثة دخلنا البرشه (؟) ووصلنا لرومية في مهٔ (١٩) يوم من نيسان يوم السبت وقدمنا الطاعة للكرسي الرسولي وقبلنا بحسن قبول كمثل العادة »

الى هنا آخر الكتابة . غير اننا نأسف على فقدان باقيها فقد سقط من الكتاب لتقادم العهد وعدم الحرص ورقة كانت تحتوي دون ادنى ريب تتمة تفاصيل ما جرى لهذا الوفد الماروني في رومية . ويظهر ان هذا الكتاب باعه الناسخ او اقاربه لرهبان مار شليطا وهذا ظاهر من الكتابة الملاقة على الصفحة الاخيرة منهُ وهاكها بالحرف :

« لمّا كان تاريخ سنة ١٦٤٣ مسيحية نحن رهبان مار شليطا اخذنا من الخوري يوسف الكرمسداني هذا الكتاب الناموس المبارك ب ٢٠٠ قداس واستقبلنا (قبلنا) فيها انا الخاطي القس الياس ومعلمي الخوري سركيس واخي القس جبرائيل واوفينا عن ذمتنا وهـذا الكتاب لا احد يطمع عليه لا من الرهبان ولا من العامية لانهُ وقف لمار شليطا » (ستأتي البقيّة)

نُواح الورقاء في نواحي الوَرْكَاء

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنن الاب انستاس الكرملي

أَلْوَرْكاء مدينة قديمة شهيرة من مدن بابل . ويذهب الافرنج الى ان هذا الاسم حديث الوضع وان العرب لم تعرفهُ في سالف الزمن . وسبب تقولهم هذا انهم لم يجدوا في كُتب اولئـك الأقوام ذِكرًا لـ« وَرْكَة » على لفظ الاعراب الحاليين (راجع ما كتبناهُ في هذا الصدَد في المشرق ٧ : ٦٧٥) ولا اثرًا لـ« ورقة » او ارقة او ورقاء او ارقاء او اراق » او نحو ذلك من التصحيفات والتحريفات التي توهّمها قومٌ متشدّدون

١) اي ساعدهُ على نسخ ما كتب في هذا الكتاب بالحبر الاحمر وقابلهُ معهُ على النسخة الاصليّة
٢) برفقة

متحذلقون. ولمّا كان اسم هذه المدينة قد اشتهر في التاريخ وقد ذكرها بعض العرب في صُحفهم وهي من المدن الجليلة العريقة في القدم فيحسن بالادباء ان يقفوا على بعض اخبارها

قد قال فريق من علماء العاديّات والآثار وانضمَّ اليهم جماعة من مفسري الكتاب الكريم الى ان الوركاء هي احدى المُدن القديمة الاربع التي ورد ذكرها في سفر الخلق باسم أَرَك اذ يقول عزَّ من قائل (١٠: ١٠): «وكان اوَّل مملكتهِ (اي نمرود) بابل وارك واكّد وكَلْنة في ارض شِنعار». قال في كتاب بابل واشور (ص ٣٩ من طبعة مطبعة الفوائد) في كلامهِ عن ارك: «فمن قائل ان مدينة ارك هي المعروفة اليوم بورقاء او ارقاء وموقعها على عدوة دجلة عند حدود بابل وشوشانة»

(قلنا) فان كان يريد بورقاء او ارقاء مدينة الوركاء فهذه ليست على عدوة دجلة بل على ضفة الفرات وان كان يُريد بذلك مدينة أُخرى راكبة على شاطئ دجلة فليس هُناك الآن الّا مدينة «كرخا» وهي عند حدود بابل والسُوس

ثمَّ قال: «وذهب قومٌ الى انّها هي التي كانت تُعرف عند الاقدمين بايذساً». (قلت) وعرَّب العرب هذه الكلمة «اذاسا» على ما صرَّح بضبطها وكتابتها ياقوت في معجمهِ (١: ١٧١)

ثمَّ اردف: «وقيل بل هي اورخوه التي ذكرها جماعة من متقدمي المؤرخين وقالوا انّها على نحو اربعين ميلًا من بابل. ولعلَّ الصحيح كما قالهُ بعض المحققين انّها كانت في موقع الاخربة المعروفة اليوم بالاراق ومنهـا اشتقَّ اسم العراق وموقع هذه الاخربة بين مدينة الحلّة وملتقى نهري دجلة والفُرات»

(قلنا) هذه التي سماها بالاراق هي الوركاء. وليس اسم العراق مشتقًا منها

ثمَّ قال: «وجميعها قديمة العهد بالخراب ومعظمها بقايا هياكل لسين. وبعض ابنية اقامها ملك من ملوكها كان يقال لهُ سين سيد. وسين عندهم اسم للقمر وكانوا يعبدونهُ في ارك وما يجاورها ولذلك كانوا يسمون ارك مدينة القمر. وكانت لهُ فيهـا هياكل كثيرة وكان اكثر الملوك الذين تبوَّأوا سريرها في ذلك العهد يقرنون اسماءهم بلفظة سين تبرُّكًا كسين سيد المذكور وقمر سين ونارام سين الى غير ذلك». انتهى

امّا كون الوركاء هي ارك فقد اجمع عليهِ اليوم اغلب العلماء والباحثين المحققين

وذلك ان الف الاطلاق الموجودة في آخر جميع الألفاظ الإرميّة زُيّنت ايضاً هذه اللفظة. ثم ان العرب لمّا تلقّوا هذه الكلمة عن مجاوريهم او اصحاب تلك البلاد من بني إرم بدلوا همزتها واوًا كما ابدلوها في «أرَّخ» الكتاب و«ورَّخهُ» و«وأكَّد الشيء» و«وكَّدهُ» وما «أبهتَ» لهُ وما «وبهتَ» (عن المزهر ١: ٢٢٣) مع ذكر عدة امثلة اخرى) فصارت وركاء. ثم ادخلوا عليها الف التعريف لمشابهة صيغتها صيغة التأنيث فصارت «الوركاء»

قال ياقوت (٤: ٩٢٢):

«الوركاء بالفتح ثم السكون وكاف والف ممدودة: موضع بناحية الزوابي وُلد (١ به ابرهيم الخليل عم وهو من حدود كسكر... منازلهم (اعني فالج وبنيهِ) الوركاء. وكانوا امّةً وسطًا بين الناس لا ينسبونهم الى ارض ولا امة وارضهم العراق ولسانهم كل لسان وهم من كل احد ومع كل احد تتحلهم الامم حتى انتهى ذلك الى ابرهيم عم فتولّهُ او تعني انهُ انتحال الخَلق ويسمّون بني فالج. والصحيح ان الوركاء ما ذُكر اولاً. قال سيف [بن عُمَر في كتاب الفتوح] اول من قدم ارض فارس لقتال الفُرس حرملة بن مُرَيطة وسلمى بن القَين وكانا (وفي الاصل فكانا) من المهاجرين ومن صالحي الصحابة فنزلا أطدَ ونُعمان والجعرانة في اربعة آلاف من بني تميم والرباب وكان بازائهما النُّوشجان والفَيُّومان بالوركاء فزحفوا اليهما فغلبوهما على الوركاء وغلبا على هُرْمُزجرد الى فرات بادَقْلى فقال في ذلك سلمى بن القين:

أَلَمْ يأتيكَ والانباء (٢ تَسْري بما لاقى على الوركاء جانِ

١) لا ترى كيف يُمكن للمرء الواحد ان يولد في عدة بلدان معًا. ونحن نرى العرب قد ذكروا عدّة مساقط لراس ابراهيم عم. فقد سمعنا ياقوت يقول هنا ان الخليل وُلد في الوركاء. وهو يقول كذلك في نفس كتابهِ في ترجمة «كُوثَى رَبَّى» انّ بها مولدهُ واليك نصَّ عبارتهِ: «كُوثَى ربّى وبها مشهد ابرهيم الخليل عم وبها مولدهُ وهُما من ارض بابل وبها طُرح ابرهيم في النار». انتهى. ومثلهُ قال السيد المرتضى في التاج في مادّة كُوثَى رَبًّا (هكذا كتبها بالالف وهو الاصحّ لانها تلفظ كذلك واللفظة ارمية ومعناها (الكُبرى) والوركاء.

امّا النصارى فيظنّون ان مولد ابرهيم كان في أُور وتبعهم العلماء الاثريّون. قال لنورمان (٤: ١٦): اور مولدُ ابرهيم وهي المقيَّر. وقال البزا ركلو (٩: ٤٥٥) وبُعيدَ من الوركاء جنوبًا مدن اخرى كبيرة اشتهرت في الاعصر الكلدانية منها اور فانها كانت مدينة زاهية جليلة قبل ٤٠ قرنًا ولم يبقَ منها الآن الّا تلّ عظيم علوهُ ٦٠ مترًا واسمُ المُقيَّر لما في ملاطهِ من المادّة القيرية. اه (وراجع ما كتبناهُ ايضًا في المشرق ٣: ٧٨٢ و٧٨٣ ثم ٥: ٦٧٥)

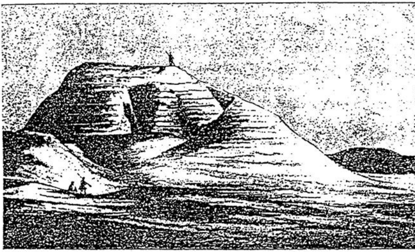
٢) وفي الاصل المطبوع الابناء بتقديم الباء على النون وهو غلط

وقد لاقى كما لاقى ميتنا قبيل الطفّ اذ يدعوهُ ماني

وقال حرملة بن مُرَيطة :

ثلثنا مات ميسان بن قاما الى الوَركاء تنفيه الخيولُ
وُجزنا ما جَلَوْا عنهُ جميعاً غداة تغيّبت منها الجبولُ (انتهى)

وهذا نصٌ نفيس لانهُ يدلُّك على ان الوركاء كانت آهلة في صدر الاسلام وكانت تُعتبر يومئذٍ من بلاد فارس لتغلُّبهم على تلك الأقطار وهو امرٌ مقرَّر لا ريب فيهِ. وقال في القاموس: « الوركاء مولد ابرهيم الخليل صلى الله عليهِ وسلَّم ». وكذا جاء في التاج ايضاً



أخربة الوركاء

وقال اليزا ركلو (Elisée Reclus, IX p. 435) :

« في جنوبي بابل وفي اسفل الفرات في صُقع تُصَيّرهُ المستنقعات منيعاً لا يبلغ السير في معظم مدة السنة تلالٌ متبعثرةٌ هي أوْشانُ أرَك او أُرُك او أركاء (Orchée) وهذه عن اليونان. وهي وركَة الاعراب الحاليّين (اي الوركاء عند فصحاء العرب) وهي مدينة الأسفار الكريمة. وكان في هذه البلدة اعظم مكتبة ببلاد الكلدان وهناك يومَّل ان يعثر القوم يوماً على علواء إسدُبار (épopée d'Isdubar) بتمامها. ولم يقع عليها احد الى اليوم بل عثروا على بعض مقاطيع منها. وآجرُ نينوى

الذي وُجد عليهِ رواية الطوفان نُقل كلهُ من اجرّ الوَرْكاء. واذا اردنا ان ننعم النظر في المدافن الموجودة في الوَرْكاء فلا نخال ان مدينة من المُدُن القديمة كانت مقدَّسة مثلما كانت هذه لما فيها من القبور العديدة. فان مدافنها تمتدُّ الى فراسخ عديدة من حواليها. ولا جرم ان الجُثَث كانت تُبعث اليها من جميع اقطار الجزيرة على حدّ ما يُرى اليوم في الغَرِيَّيْن (نجف وكَرْبلاء) فكانت الجثث توضع في مراكب فتنحدر على مياه الفرات». انتهى

(قلتُ) وقد زرتُ الوركاء قبل ثلاث سنواتٍ في شهر تشرين الاوَّل فاذا هي عبارة عن مدافن لا يدرك الطرفُ مداها وكثيرًا ما يجد الاعراب في تلك القبور آثارًا قديمةً من خزف او لَبِنٍ او معدنٍ فيبيعونها لهذا وذاك. ولا يتعب الناقب في ايجادها لانك تَراها تحت اقدامك عند ادنى حفر تحفرهُ. وفي وسط هذه القبور وشن مرتفع يُرى عن بُعدٍ بعيد وهو الذي يهدي الناس اليهِ فيؤُمُّونهُ من اقصى تلك الانحاء. امَّا الآن فثلاث دولٍ تسعى في أستحصال رُخصةٍ للتنقيب عن العاديَّات فيها وسوف تكشف لنا تلك المندرجات اسرارًا هي الى اليوم غامضة. وتكلمنا عن اقوامٍ هي الى اليوم هامدة

موت بيَّار ☆

وهي محاورة تُرجمت عن الافرنسيَّة بتصرُّف

للاديب محبوب الخوري الشرتوني تلميذ مدرسة الحكمة الزاهرة

بيَّار يعاتب سيفهُ وهو جريح على اصل الشجرة

حُسامي لا تُقدّمْ ليَ أعتذارا　　فقد سبَّبت لي خزيًا وعارا
حُسامي خُنتني ونقضتَ عهدي　　لأنكَ لم تذُد عنّي البوارا
ألستَ وعدتني إِبَّان دارتْ　　رَحى الهيجاء فوزًا وأنتصارا

☆ بيَّار بطل افرنسيّ مات في خدمة ملكهِ فرنسيس الاوَّل وكانت وفاتهُ في ساحة الحرب في رومانيانو سنة ١٥٢٤. أمَّا امير الجيش الذي ورد ذكرهُ في هذه المحاورة فهو كرلوس دوق دي بوربون المعروف بقندسطبل (connétable) دي بوربون الذي خان وطنهُ وخدم في جيش اعداء دولتهِ لامورٍ نقمها على اهل جلدتهِ

قـل لي الآن يا سيفي لماذا نبوتَ وما عهدتُ بك أنكسارا
فاني لم أعوّدك الحازي بيوم اضرموا للحرب نارا
أراعتكَ العساكر حين كرَّت وقد شهرت أسنَّتها الحرارا
الومك يا حُسامي بعد حربٍ كُسيتَ بها من الخجل احمرارا
ولكن ثقْ بانَّ هواكَ يبقى باضلاعي ولو صارت غبارا
فقد قاسيتني الاهوالَ قبلًا ونلتُ بك أعتلاء وأفتخارا
أضمّك يا حسامي فوق صدرٍ فؤادي فيهِ ينفطر أنفطارا
تحمّلْ قبل موتي الآن مني الى وطني تحياتٍ غزارا
وشوقًا قد تضرَّم طيَّ قلبي فلم يستبقِ لي فيهِ قرارا

محاورة بين بيَّار وامير الجيش المنتصر في المعركة

وهو افرنسيٌّ من العائلة المالكة وقد خان وطنهُ

قال لبيَّار

يعزُّ عليَّ يا بيَّار اني رأيت دماك تنحدرُ انحدارا
اراك وفي فؤادي جمرُ حزنٍ يُطيّرُ في سويداه شرارا

بيَّار

انا ايضًا حزنتُ عليك يا من يسنُّ لذبح اهليهِ الغرارا

امير الجيش

اظنّك لا تودّ القربَ مني لأنك مظهرٌ عني ازورارا
ايزعجك المكوث لديَّ ام هل تعدّ هنا المكوث عليك عارا
فان تكُ قد بقيتَ لدى الاعادي فمنهم لا ترى الّا وقارا
وتبقى انت يا بيارُ عندي كريمًا لا تُعَدّ من الاسارى
وتشفى من جراحك بأعتناءٍ وتلقى بعد إعسارٍ يسارا

بيَّار

فما مُكثي لديك يغض قلبي فقلبي صخرةٌ تأبى أنكسارا
ولا هذي الجراحُ تزيد حزني فقبلُ جُرحتُ في الهيجا مرارا

ولكنَّ المنون تريدُ ألّا اسيرَ مفارقًا هذي القفارا
كأني قد قتلتُ لها قتيلًا فجاءت كي تنالَ اليوم ثارا
بلى نفسي تحدّثني بموتٍ قريبٍ لا ارى منهُ فرارا

امير الجيش

كفى دَع هذه الاقوال واملأْ فؤادك ايها البطل أصطبارا
فلستُ ارى الشفا الّا رياضًا ستقطف من مغارسها الثمارا

بيار

قد اخترتُ المات لانَّ همّي اتى لكن سروري قد توارى

امير الجيش

ألا من قبلُ لم تنظر عيوني رجالًا تطلب الموت أختيارا
فان يكُ ما جنى لك يا خليلي حسامُك من رياض النصر غارا
فلا تحزنْ ولا تأبَ التسلّي ولا تفعل كافعال السكارى
لانَّ النصر حظٌّ إن يُعتَرْ ذمارًا في الورى ينقضْ ذمارا
مضى ما قد مضى فاطلب سلوًّا وقد صار الذي في الحرب صارا
فمجدُكَ قد بنيتَ لهُ قصورًا تزيد مع انقضا الزمن أزدهارا

بيار

أيا خلفًا لنسل خير نسلٍ يضاهي الشمس نورًا وأشتهارا
اميرٌ انت لكن بالوفا ما قفوتَ جدودكَ الأُمرا الكبارا
فهم رفعوا فرنسا في البرايا وزادوها أمتناعًا وأقتدارا
وانتَ أتيتَ بعدهمُ خؤونًا ولم ترفع لعلياها منارا

امير الجيش

انا يا صاح أُوسعكَ احترامًا لماذا انت توسعني أحتقارا
شفقتُ عليك لا كي تزدري بي فقولك نارَ قلبي قد اثارا

بيار

شفقتَ عليَّ لكن انت احرى بان تبكي الليالي والنهارا

فحالي الآن يحسدني عليها جميعُ مَن ابتنوا للمجد دارا

امير الجيش

كفى اني أنتصرتُ على عدوٍّ اراد لقدريَ العالي شنارا
ألا فلتبكينَّ اذا فرنسا لقد خسرتْ بابعادي خسارا
فهل تدعو الى الإشفاق حالي وفي ذا اليوم عانقتُ ٱلفخارا

بيار

نعم يجبُ الحنوُّ عليك يا من على الوطن العزيز طغى وجارا

امير الجيش

اما خانتنيَ الاوطانُ حتى جُبرتُ على تهاجرها اضطرارا
بنيتُ لمجدها حصنًا ولمّا تناهى دمَّرتْ حصني دمارا
وشتْ أمُّ المليك لدى ابنها بي فالقت فيهِ من نحوي نفارا
فرامَ ليَ الهلاكَ بدون ذنبٍ لذاك نأيتُ عن بلدي مزارا

بيار

ألم تقدرْ تهاجرُ دون حربٍ وتطلبُ عن نواظرهِ استتارا
فخيرٌ لو رضيتَ الموتَ من ان تكونَ لبستَ من خونٍ شعارا
ومَن بجيانةٍ طلب المعالي فقد طلبَ المذلّةَ والصَّغارا
فيحسنُ لو على رزقٍ ومالٍ ورغد العيش فضّلتَ افتقارا
اذا كان المليك جناك قبلًا فعدْ واسأل جلالتهُ اغتفارا
وسرْ في الحال واستغفر فرنسا فتسدل فوق ذلّتك الستارا
وخذ منّي الى وطني سلامًا يفوق المسك نفحًا وانتشارا
يزيد اليكَ يا وطني أواري فهل من نظرةٍ تروي الأوارا
أرى الأيام قد عبست بوجهي فهب لي من مباسمك افترارا
ترى عيني هنا يبسًا فهلاّ تُريها من سهولتك اخضرارا
هجرتُك والتهاجرُ لا يخلّي حشًا الّا وعلاّهُ جمارا
اذا ما كنتُ مجروحًا فاني لاجلك لم ازل اهوى الشِّفارا

احنُّ الى الدّيار حنــينَ طيرٍ نأى عن عشّهِ الزاهي وطارا
ديارٌ قد ربيتُ بها صغيرًا أأنظر بعــد هاتيك ٱلدّيارا
اموتُ وفي فؤادي نارُ شوقٍ اليها فاقتِ ٱلنارَ ٱستعارا

من جيبوتي الى دريداوا

رحلة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

مولاي — كتلميذ عارف الجميل متخرّج في مكتبكم الطبيّ الزاهر آثرت ان اقفكم على ما شاهدت من تقدم القطعة الشرقيّة من الحبشة وهي الملاصقة لمستعمرة جيبوتي وذلك بفضــل دخول الســكة الحديديّة الافرنسيَّــة الى هذه الاراضي. وعلى بناء المدينة الجديدة التي دُعيت دريداوا راجياً ان تنشروا مقالتي هذه اذا راقت لديكم فاقول:

مكثت فصل الشتاء بجيبوتي مستخدماً كصيدلي في ادارة الشركة الامبراطوريّة القائمة بمدّ خطّ حديدي من هذه المستعمرة الافرنسيَّة الى داخل الحبشــة وقد كتب البشير في احد اعداده شيئاً عن هذه الشركة في السنة الماضية فلا حاجة لي اذًا الى التكرار

ثمَّ انتقلتُ بالوظيفة نفسها من جيبوتي الى دريداوا وهي آخر نقطة وصل اليها الخطّ الحديدي الافرنسي المذكور وتبعد عن جيبوتي ٣٠٩ كيلومترات منها ٩٠ كيلومترًا ارض افرنسيَّة والباقي حبشيَّة تحت سلطة الامبراطور منيليك الثاني وامرة سعادة وزيره الاكبر الراس مكونين الذي عرف القرّاء الكرام اسمهُ في السنة الماضيــة بمناسبة سفره الى اوربّة وزيارتهِ عاصمة فرنسة

يقوم القطار من جيبوتي عند الساعة السادسة صباحاً فيروق لعين الراكب فيهِ حسن انتظامهِ وسرعة مسيرهِ ومشهد البحر الهندي المتلاطم الامواج عن اليسار ورواق خليج «تجُره» وسكونهِ عن اليمين ولكن لا يتم ان تشرق الشمس الافريقيَّة وتمدّ شعاعها فيرى

المسافر بعد بضع دقائق نفسهُ كانهُ في منتصف النهار ويأخذ الحرّ مجراهُ ولا يجهل القرّاء الكرام ولو مبدأيًا حرّ ساحل الصومال خصوصاً اذا ابتدأ فصل الصيف

يسرع القطار الجري حتى يقطع الصومال على عرض صحرائهِ الممتدة من جيبوتي الى اوائل شرقي الحبشة. والمسافر لا يرى غير سهول واسعة كأنهـا اتون نار مُحمى يتخلّلها اكمات سوداء الحجارة وبعض شجيرات من نوع الاكاسيا الشوكيّة حتى اذا قطع هذه البطاح واخذ بالصعود في الاراضي الحبشيّة يبتدئ الحر ان يخف فيحس المسافر بنفسه كانهُ خرج من اتون ملتهب وقد شرع بالابتعاد عنهُ قدمًا بعد قدم. حتى اذا صار عند الكيلومتر المائتين والخمسين او ما ينيف قليلًا يشعر كانهُ لم يعد تحت سماء افريقية اذ يجد الحرارة معتدلة والارض ممتلئة من الاشجار ومفروشة بالحشيش الاخضر يرى الجبال من حوله كلهـا خضراء ومكلّلة بالغابات حتى قممها فيقول: « اين انا يا قوم أفي سفح لبنان ام في غوطة الشام؟ كلّا ما هذه افريقية ولا هـذه شمسها ولا تلك اراضيها! »... مهلًا ايهـا المسافر العزيز لا يأخذنك العجب مأخذهُ. ما انت الّا في افريقية وازيد انك تقترب اكثر من ذي قبل الى خط الاستواء ولكن اتجهل انك دخلت ارضًا يُعَدّ من دخلها قبلك على الاصابع وقد دعاها ابادي (Abbadie) المسافر في افريقية بسويسرا الافريقية لجودة هوائها وصفاء مائها وطيب تربتها. مهلًا فسوف ترى ما يستحق العجب اكثر من ذلك

يدخل القطار غابة متلاصقة الاشجار تكاد لا ترى ارضها اشعّة الشمس فيجري فيها الجري السريع نحو ٢٥ كيلومترا ثم يدخل محطة كبيرة كثيرة البنايات منظّمة الارصفة حيث يندهش المسافر من مرأى الجم الغفير من الاوربيين الذين جمعهم هناك صوت صفير الآلة فيقف القطار ويصرخ رئيسهُ: « دريداوا » واول شيء يستجلب نظر راكبنا العزيز هي ساعة المحطة الكبيرة فيرى الابرة قد وصلت الى الرقم الرابع اي الساعة الرابعة بعد الظهر فيقفز من عربتهِ ويحوّل نظره ذات اليمين وذات الشمال...

دريداوا

لا تتعب سرّك ايها القارئ الكريم ولا تفتش عن هـذا الاسم على خريطة افريقية لانك لا تجدهُ. دريداوا اسم لمدينة جديدة لم تكن منـذ شهرين فقط سوى غابة لا بيت فيها ولا ساكن وها قد اصبحت اليوم مدينة صغيرة فيهـا من الاوروبيين

نحو ثلاثمائة وخمسين رجلًا بين مستخدم في السكة وعامل وتاجر: وعلى نحو كيلومتر واحد منها نحو خمسمائة بيت من قش على عادة البلاد يسكنها ما ينيف عن الف وخمسمائة وطني بين حبشي وصومالي وغورغورا وعربي من برّ اليمن وحضرموت. وكل هؤلاء لم يكن لهم من اثر في شهر كانون الاول سنة ١٩٠٢

امَّا المدينة الاوربيَّة التي تمتدّ من المحطة الى المنازل الاهليَّة على عرض ثلاثة اضعاف المسافة المذكورة فهي كلها ملك الشركة الامبراطوريَّة المذكورة وهبهـا لها جلالة ملك ملوك الحبشة لتوزعها قطعًا مجانية على من يشاء البناء. وقد وزّعت الى اليوم نحو نصفها (ولم يُحرم كاتب هذه العجالة من حصَّته) ملكًا بلا عوض ولا ثمن. واوَّل شيء تمّ بناؤهُ سريعًا بالقرميد والخشب والحديد هي المطاعم والقهاوي ثم المحلات التجاريَّة والآن جعلوا يشيّدون البيوت

وقد اخذت الشركة المذكورة على عاتقها هندسة الابنية فاقامت مهندسًا مخصوصًا للمدينة يرسم خرائط البيوت والمحلات بدون اجرة لان معاشهُ من الادارة. وقد سبقت فسحبت الماء الى المدينة بانابيب من حديد على نحو ماء بيروت ووضعت سُبُلًا في جميع الشوارع وهي تقبل اشتراكات الخواص باسعار جزئيَّـة. والابنية جارية على قدم وساق واني لمتأكد ان بعد مضي سنتين فقط تصبح دريداوا مدينة جزيلة الاهميَّـة رابحة التجارة لان نقطتها متوسطة بين انحاء كثيرة من البلاد الحبشيَّة ينصبّ عليهـا تجار القاطعات من كل جهة وصوب حاملين محاصيـل البلاد من ذهب وعاج وجلود وقهوة وعسـل وشمع وحنطة وحبوب وهي اهمّ اصناف تجارة الحبشة. ويعتاضون عنها من التجار الاوربيين بالاقمشة والاشربة والقبعات وبقية الاصناف التي تجلب من اوربَّة فيسقط سوق جيبوتي وعدن ولا يعود التاجر الحبشي يصل ببضاعته الى المرافئ البحريَّة وتتحوَّل حركته الى هذه البلدة الجديدة وممَّا يؤكد ذلك هو ان كثيرًا من اصحاب المعامل الافرنسيَّة اخذوا حصصًا في المدينة ليجعلوا فيها معامل فرعيَّة

(مناخ المدينة) مناخ دريداوا معتدل مائل قليلًا الى الحرارة. فصيفها اشبه بصيف بيروت وشتاؤها بشتاء حلوان في مصر. امَّا في الشتاء فالهواء ناشف قليل المطر غير ان الصيف كثير الامطار كثيف الغيوم فهذا ما يجعل الحرارة معتدلة

(تربتها) تربة دريداوا جيدة للزراعة لكن لم تعمل فيها آلة الحارث منذ خلق

الله الارض وما فيها وهي بالنظر لاعتدال المناخ وميلهِ للحرّ وغزارة الامطار تعطي الزارع موسماً في كل خمسة اشهر كما يؤيد ذلك مواسم زراعة الذرة البيضاء التي يرجها الاهلون الغورغورا بالقرب من النهر المدعو «لاجاحَرّي» الذي يجري بالوادي المسمى بنفس هذا الاسم على مسافة ثلاثة كيلومترات من دريداوا حيث مزارع قليلة تسقى بماء المطر اذ النهر يجري بالوادي ولا سبيل لديهم لجلب مياههِ الى مزارعهم. اما بقيّة الاراضي فينبت فيها الحشيش الاخضر لنفسهِ وهو يغمر المواشي فيبلغ الى بطونها وكل هذه الاراضي هي ملك سعادة مكونين لا يبيع منهـا للجنس الابيض ولا قيراطاً واحداً لانهُ يخشى نفوذ البيض وتملكهم على بلاده غير انهُ يأجرها بكل طيب خاطر باجارات طفيفة للغـاية بالنسبة للمحصول الناتج عنها

(ماؤها) ماء دريداوا عذب لذيذ نقي صافٍ بارد خفيف سحبتهُ الشركة بانابيب من حديد من نهر اللاجاحَرّي الآنف الذكر وهو كافٍ الآن لثلاثة اضعاف الاهالي الحاضرة غير انهُ يُزاد بالمستقبل على نحو الحاجة لان ماء النهر غزير والاقنية وحواصل الماء ضخمة وكبيرة وقد جُعلت لمستقبل مدينة واسعة الجنَّات

(اسباب المعيشة والتجارة الحاضرة) المعيشة لم تزل غالية في المطاعم غير انَّها في غاية الرخص لمن يحضرها في المنازل وخصوصاً للعائلات لان كل شيء موجود باسعار بخسة جداً فان الدجاجة بغرش صاغ والبيض والحليب بلا ميزان ولا مكيال ولا عدّ. وكذلك قل عن اللحم والصيد والخضرة وبقيّة المحصولات الاهليَّة. اما الاشربة الروحيَّة وبقيَّة ما يؤتى بهِ من اوربَّة فاسعارهُ غالية. ثمَّ ان اسباب الاتجار موفَّرة وتزداد يوماً بعد يوم واخصّ من تروج بضاعتهم باعة الخمور واصحاب المطاعم. اما الصنائع فالحظُّ الاوفى منها للتجارين والبنائين للسكة الحديديَّة ولأبنية المدينة

(السكة الحديديَّة) قد ضمنت الحكومة الافرنسيَّة اسهام هذه الشركة فتدفع للمساهمين فائض ٠الهم على معدل ١٠٠/٣ الى اليوم الذي بهِ تبدأ الشركة المذكورة ان تعطي ارباح اسهامها لذلك بادر المتمولون في فرنسة لابتياع هذه الاسهام. اما الآن فالشركة قد اوقفت مد الخط في دريداوا مدة ثلاثة اشهر ريثما تجتمع عنـدها في جيبوتي كمية كافية من الحديد وهي الآن مصوّبة كل قوَّتها على تقدم مدينة دريداوا وستشرع بعد الجزء الثاني من الخطّ (من دريداوا الى اديس ابابا وهي عاصمة الحبشة)

في اوائل تموز وطولهُ ١٥٠ كيلومترًا امَّا الجزء الثالث من الخط فهو من اديس ابابا الى النيــل الازرق وهذا سيتدئ المهندسون بوضع خريطتهِ عند شروع الشركة بمدّ حديد الجزء الثاني امَّا طولهُ فهو نحو ١٧٥ كيلومترًا على ما يُقال

هذا ما امكنني ان افيد بهِ القرّاء من الملاحظات الشخصيَّة والمفاوضـات مع المستعمرين في وصف الجهـة الشرقيَّة من الحبشـة وان شاء الله نصف لهم قريبًا مدينة هرر وضواحيها لانني ساغادر مأموريتي هذه في دريداوا واذهب الى تلك الحاضرة (وهي تبعد عن دريداوا مسافة ٥٠ كيلومترًا) حيث تعيَّنت صيدليًا لمستشفى سعـادة الراس مكونين. وذلك بعد نحو شهر من تاريخ هذه العجالة

هلال الصابئ وتآليفهُ

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تزال همَّة المستشرقين تبعث كلَّ يوم من مواتهـا دفائن الآداب التي كنَّا نعضُّ على فقدها البنان فتراهم ينقّبون المكاتب ويقطعون البيـد ويطوفون البلدان ويبلغون اقاصي المعمورة على مثال برزويه لمَّا نقل من الهند الى فارس كتاب كليلة ودمنة فلا تخمد نار غيرتهم ريثما يظفرهم الله بحاجتهم مهما بعد منالها ولا تراهم يضنُّون بهذه الكنوز اذا ما وجدوها بل يسرعون الى نشرها لئلّا تضيع الفائدة من اكتشافها

ومن التآليف التي خرجت بعد اختفائها الى عالم الوجود في السنة الجارية كتاب جليل لابي الحسن هلال الصابئ من كتبة القرن الرابع للهجرة يُدعى تحفة الامراء في تاريخ الوزراء. وفي آخرهِ قطعة من تاريخهِ المطوَّل الذي جعلهُ ذيلًا لتاريخ خالهِ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرَّة الصابئ. وقبل تعريف هذا الأثر النفيس وخواصهِ احببنـا ان نصدّر نبذتنا بترجمة صاحب التأليف واعمالهِ ثم نبسط الكلام عن تاريخهِ

١

الصابئة شيعة غريبة الاحوال عريقة في القدم وصفها حضرة الباحث المحقّق الاب انستاس الكرملي في عدَّة مقالات اثبتناها في المشرق واستحسنها كلُّ القرّاء. فمن هذه

الصابئة اشتهر قومٌ من ائمَّة الكتبة واماثل العلماء خدموا الدولة العبَّاسيَّة فاصابوا عند رجالها الحظوى ووقعوا لديهم موقع القبول. وقد ذكر منهم اصحاب الاخبار كابن النديم في الفهرست وابن خلكان في تراجم الاعيان وابن ابي اصيبعة في كتاب تاريخ الاطبَّاء نحوًا من ثلاثين رجلًا امتازوا بعلومهم وتآليفهم منهم ثابت بن قرَّة الحرَّاني صاحب التصانيف في الفلسفة والهندسة والطب. وسنان بن ثابت الذي اشار على الخليفة المقتدر باتخاذ البيمارستان المعروف بالمقتدري وفتح البيمارستان المعروف بالسيِّدة. وابو اسحاق ابراهيم بن سنان بن ثابت الفلكي الشهير. وابو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون المنشئ البليغ صاحب الرسائل التي تولَّى نشرها منذ عهد قريب الكاتب الاديب الامير شكيب ارسلان. وابو عبدالله البتَّاني صاحب الزيج الصابئ الذي وصفناهُ في المشرق (٣:٧١٧) وغيرهم ايضًا لا يسعنا هنا ذكرهم وتعريف امورهم

امَّا هلال الصابئ الذي نحن في صدده فهو ابو الحسن وقيل ابو الحسين هلال بن المحسّن بن ابراهيم بن هلال الصابئ. كان والدهُ ابو عليّ المحسّن من اعيان الصابئة تخرَّج في الآداب على ابيهِ ابي اسحاق ابراهيم صاحب الرسائل المذكور انفًا. امَّا والدتهُ فكانت اخت ابي الحسن ثابت بن سنان بن ثابت طبيب الخليفة الراضي بالله والمطيع لله والمتوفّى سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م). وكان مولد هلال ابنها صاحب الترجمة سنة ٣٥٩ هـ (٩٧١ م) ربي في حجر والدهِ الاديب وخالهِ ثابت فاخذ عنهما العلوم والآداب. وكان جدُّهُ ابو اسحاق الصابئ يتقلَّد اذ ذاك الاعمال الجلائل مع ديوان الرسائل فلمح من حفيدهِ سمات النجابة والذكاء فدرَّبهُ في فنون الكتابة. فلمَّا توفّي ابو اسحاق سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) تقدَّم هلال في ديوان الانشاء وترقَّى فيهِ حتى خُيّل انَّ جدَّهُ لم يمت. قال القفطي في تاريخ الوزراء: «ولم يتعرَّض احد في مدَّتهِ الى ما تعرَّض لهُ من احكام الامور والاطلاع على اسرار الدول وذلك انهُ اخذ ذلك عن جدِّهِ لانهُ كاتب الانشاء ويعلم الوقائع وتولَّى هو الانشاء ايضًا فاستعان بعلم الاخبار على ما جمعهُ». وقال ابن الجوزي فيه: «انهُ كان من كبار العلماء والادباء... ولهُ الكلام الفصيح والنثر المليح». وكان هلال ينظم الشعر الجيّد روى منهُ جمال الدين القفطي في تاريخ الوزراء قصيدتهُ العينيَّة قالها في رثاء امام العراق في زمانهِ الشريف المرتضى المتوفّى سنة ٤٣٦هـ (٩٤٥م).

وكان هلال الصابئ محبًّا للأدباء يتردَّد على ائمَّة زمانهِ من النحاة فيباحثهم ويروي

عنهم كابي عليّ الفارسي وعليّ بن عيسى الرمّاني حتى صار هو من افراد زمانهِ. وممَّن اجتمع بهم ابو الحسن الهلال الصابئ وصادقهم من معاصريهِ الكاتب البارع والطبيب النطاسيّ المختار بن الحسن المعروف بابن بطلان. ولمّا رحل هذا نحو سنة ٤٤٠ ﻫ (١٠٤٩م) الى بلاد الشام فمصر وجّه الى ابي الحسن رسالةً يصف فيها رحلتهُ الى عواصم البلاد كحلب وانطاكية ومصر

وكان هلال الصابئ يدين بدين الصابئة اجدادهِ لكنهُ اسلم في آخر عمرهِ كما ذكر ابن خلكان. وقد روى الشيخ ابو المظفَّر يوسف بن قزاغلي المعروف بسبط ابن الجوزي في كتابهِ المسمَّى بمرآة الزمان خبر اسلامهِ في حكاية طويلة وجعل الامر في سنة ٣٩٩ ﻫ. فان صحَّت الرواية لم يقع اسلام هلال في آخر عمرهِ كما قال ابن خلكان بل في منتصفهِ لانهُ عاش بعد ذلك زمناً طويلًا وكانت وفاتهُ في بغداد سنة ٤٤٨ في السابع عشر من رمضان (١٠٦٠ م)

وقد خدم هلال بني بويهِ وكتب لفخر الملك ابي غالب محمَّد بن خلف. فلمَّا مات فخر الملك اودعهُ ثلثين الف دينار اعترف لهُ بها الوزير مؤيد الملك ابو عليّ الرخجي وكان صاحبهُ. فعاش فيها هلال الى ان مات

امَّا تآليف ابي الحسن هلال الصابئ فقد ذكرها مفصَّلًا صلاح الدين بن ايبك الصفدي في وافي الوفيَّات وجاء ذكر بعضها في تراجم الاعيان ومعجم البلدان لياقوت الروميّ وهاك جدولها :

١ً كتاب مآثر اهلهِ. يحوي مآثر الصابئة

٢ً كتاب الكتَّاب

٣ً كتاب السياسة

٤ً كتاب رسوم دار الخلافة

٥ً كتاب الرسائل انشأها عن لسان الملوك والوزراء تقارب رسائل جدّهِ ابي اسحق. وهذه الكتب الخمسة اورد اسماءها صلاح الدين الصفديّ وحدهُ ولم يقدنا عنها شيئاً ولم يدوّن الحاج خليفة اسماءها في كتاب كشف الظنون. والظاهر انَّها فقدت في جملة ما فُقد من كنوز العرب الادبيَّة

٦ً كتاب اخبار بغداد. وهو كتابٌ عرفهُ ياقوت الروميّ فاستشهد بهِ مرارًا في

معجم البلدان. وربَّما دعاهُ تاريخ بغداد او كتاب بغداد. قد اخذتهُ اليوم يد الضياع

٧ً كتاب غُرَر البلاغة. وهو كتابٌ في ٢١ بابًا يتضمَّن فصولًا في الكتابة واساليبها مع عدَّة رسائل من كلامهِ. وقد نجا هذا الأثر من قوارع الدهر. فانَّ منهُ نسخةً في خزانة المكتب العلمي الملكي في بطرسبرج

٨ً كتاب الدولة الدويهيَّة. ذكرهُ الصفدي ولم يُعلمنا من امرهِ شيئًا. ولعلَّهُ ملحق اضافهُ الى كتابٍ صنَّفهُ ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرَّة اودعهُ مفاخر الديلم وانسابهم وذكر اموالهم واسلامهم ودعاهُ بالتاجي لانهُ وضعهُ لتاج الدولة من بني بويهِ

كتاب التاريخ. وهو ذيل على تاريخ شهير صنَّفهُ خالهُ ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت ذكر فيهِ الوقائع والحوادث التي جرت في زمانهِ من سنة ٢٩٥ ﻫ الى حين وفاتهِ ٣٦٣ﻫ (٩٠٧—٩٩٣ م). فذيَّلهُ ابن اختهِ هلال وكتب الوقائع التي جرت من ٣٦٣ الى سنة ٤٤٧ ﻫ (٩٧٣—١٠٥٥ م). وهذان التاريخان اشتهرا في الآفاق وقال فيهما ابن العبري في تاريخ الدول (٢٩٦): «ولولاهما لَجُهل شيء كثير من التاريخ في المدَّتين» ومع شهرة هذين التاريخين فانَّ الضياع قد استولى عليهما اللهمَّ الَّا الجزء الثامن من ذيل ابي الحسن هلال يحتوي وقائع اربع سنوات من سنة ٣٨٩ الى ٣٩٣ وجدهُ المستشرق الفاضل ﻫ. ف. اميدروس (H. F. Amedroz) في المتحف البريطاني فألحقهُ بتاريخ الوزراء الآتي ذكرهُ. وهو عبارة عن ١١٦ صحيفة كلُّها فوائد لتاريخ الخلافة العبَّاسيَّة واخبار دولة بني بويهِ في بغداد

ولذيل تاريخ ثابت بن سنان ذيول أُخرى اوَّلها لابن هلال الصابئ وهو يدعى غرس النعمة محمَّد بن هلال (١ ولم يتمَّ وقال الحاج خليفة (٢: ١٢٣ طبعة لبسيك): «ثم ذيَّلهُ ابن الهمذاني الى سنة ٥١٢ ﻫ ثم ذيَّلهُ ابو الحسن الراعوني الى سنة ٥٢٧ ثم العفيف صدقة بن الحدَّاد الى سنة ٥٧٠ ثمَّ ابن الجوزي الى سنة ٥٨٠ ثمَّ ابن القادسي الى سنة ٦١٦ (١٢٢٠ م)». وكلُّ هذه الذيول دليل ظاهر على اعتبار الاقدمين لتاريخ ثابت وابن اختهِ هلال

١) وقد اشتهر غرس النعمة هذا بعد ابيهِ. قال ابن خلّكان في مطاوي ترجمة والدهِ: «وكان ولدهُ غرس النعمة ابو الحسن محمَّد بن هلال ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سمَّاهُ الهفوات النادرة من المغفَّلين الملحوظين والسقطات النادرة من المغفَّلين المحظوظين (ويُروى: الملفوظين) جمع فيهِ من الحكايات التي تتعلَّق بهذا الباب»

٢

هذه هي التآليف التي استحقَّت لابي الحسن هلال الصابئ تلك الرتبة الممتازة في مصاف الكتبة البلغاء. على أننا كنَّا بقينا في ريب عن رسوخ قدمهِ في البلاغة لولا كتاب اخير نُشر بالطبع في هذه السنة الجارية نعدُّهُ من افخر كنوز الأقدمين نعني بذلك تاريخ الوزراء الذي المعنا اليه في مقدَّمة كلامنا

وليس هلال الصابئ اوَّل من كتب تاريخًا في هذا الشأن وانَّما كان ابو عبد الله محمَّد بن عبدوس الجهشياري جمع من اخبار وزراء بني العبَّاس ما وقف فيه عند ابي احمد العبَّاس بن الحسن وزير المكتفي بالله. ثم تعقَّبهُ ابو بكر الصولي فصنَّف كتابًا ضمَّنهُ اخبار الوزارة الى ايامهِ. قال الصابئ في حقهِ: «انهُ ملأهُ بالحشو الزائد وكدَّهُ بشعرهِ البارد» فاستفزَّت الحميَّة ابا الحسن هلال ان يتابع اخبار الوزراء الذين تولَّوا الامر لبني العبَّاس بعد ذلك «وما في اكثرهم الَّا من لهُ الفضائل المذكورة والمناقب المأثورة والآثار المشهودة والافعال المشهورة من مثل ابي الحسن عليّ بن محمَّد بن الفرات وابي الحسن علي بن عيسى بن داود بن جرَّاح وابي عليّ محمَّد بن عليّ ابن مقلة ومَن بعدهم من وزراء الدولة العبَّاسيَّة (مقدَّمة المؤلف)» فسدَّ بتاريخهِ هذا الخلل بوضع تاريخ الوزراء مباشرةً بوزراء المقتدر بالله

ولهذا التأليف اسماء مختلفة فربَّما دُعي باسم تاريخ الوزراء. وقد دعاهُ ابن خلكان كتاب الاماثل والاعيان ومنتدى العواطف والاحسان. قال عنهُ: «وهو مجلَّد واحد ولا اعلم هل صنَّف (هلال الصابئ) سواهُ ام لا». وفي الطبعة الحديثة التي أُنجزت آخرًا ورد اسمهُ على هذه الصورة: «تحفة الامراء في تاريخ الوزراء». امَّا الحاج خليفة فانهُ لم يعرف هذا الكتاب ولم يذكرهُ البتَّة

والنسخة التي عنها نُقلت الطبعة الجديدة هي نسخة فريدة تُحفظ في خزينة كتب مدينة غوتا الشهيرة تحت العدد ١٧٥٦ تبلغ صحائفها ٢٥١ صحيفة ولكل صفحة خمسة عشر سطرًا. وهي تتضمَّن اعمال ثلاثة من وزراء المقتدر بالله (٢٩٥–٣٢٠ هـ ٩٠٨–٩٣٢ م) وهم ابو الحسن عليّ بن الفرات الذي وُزِّر ثلاثًا وابو عليّ محمَّد بن عبيد الله بن خاقان وابو الحسن عليّ بن عيسى بن داود ابن الجرَّاح. فمن هذا يظهر جليًّا انَّ تاريخ الصابئ في الوزراء ليس بكامل وهو في مقدَّمتهِ يقول انهُ سيأتي بذكر ابن

مقلة ومن تقلّد بعدهُ الوزارة وكذلك وعد في مقدّمتهِ انهُ يكتب عن كتّاب الأيام الديلميّة كأبي محمّد الحسن المهلبيّ وكابن العميد والصاحب اسمعيل بن عبّاد وغيرهم ولا تجد في هذه النسخة ذكرًا لكل هؤلاء المشاهير بل تراها تنتهي فجأةً بآخر اخبار الوزير عليّ بن عيسى لا خاتمة لها سوى «والحمد لله» فلا شك اذن انَّ قسمًا من هذا لا يزال ضائعًا او متزويًا في زوايا النسيان

على اننا نشكر المسيو اميدروس على همتهِ في نشر هذه التحفة النفيسة التي يُستفاد منها امور ذات شأن لتاريخ العراق واخبار بني عبّاس في ايّام عز دولتهم

وممّا تفرّد بهِ هذا الكتاب سعة علم صاحبهِ الذي جمع من اخبار الوزراء وتفاصيل احوالهم وتصرُّفهم في تدبير البلاد وسياسة الامور ما لا تجد لهُ ذكرًا في غير هذا التأليف. وهو قد اخذهُ من اصدق المصادر واوثق الرواة فضلًا عمّا وجدهُ في بطون الدفاتر التي كان يطّلع عليها للقيام بمهمّتهِ وانشاء رسائلهِ. مثال ذلك ما اوقفنا عليهِ من ماليّة الحكومة العباسيّة في ايام المعتضد بالله ومستغلّات اراضيها ونفقات دوائرها وارزاق عمّالها الى غير ذلك ممّا يستحبُّ المحدثون الاطلاع عليهِ لمعرفة احوال الغابرين. وكذلك امور عديدة لا يتعرّض لها في الغالب الكتبة الأقدمون كتعريف آداب الوزراء ودواوينهم ومعاملاتهم ومكاتباتهم ودخولهم على الملوك وشارات رتبتهم وطعامهم وضيافاتهم ومقاضياتهم اذا عُزلوا الى غير ذلك من عادات ذلك العهد

ولمّا كان للوزراء معاملات متعدّدة مع كلّ انحاء الدولة ترى الكاتب يفيدنا عن أمور كثيرة جرت ايّام الوزراء الذين يصفهم كأحوال مصر والشام والمغرب وجزيرة العرب وفارس ممّا لهُ علاقة بتاريخ بني عبّاس

وقد اقتبسنا منهُ نحن النصارى بعض الفوائد لتاريخ النصرانيّة في ايّام العبّاسيّين كتقدُّم جملة من كُتّاب النصارى في الدواوين واستعمال الوزراء لبعض وجوه النصارى في مهامّ الدولة العبّاسيّة واتّخاذ البطريركين الانطاكي والاورشليميّ كوسيطين بين الدولة العبّاسيّة وملوك الروم وغير ذلك ممّا يطول شرحهُ

وقد استحسنّا طريقة المؤلف في كتابة هذا التاريخ فانهُ جمع بين متانة التعبير وسهولة الكلام وحسن سبكهِ والتفنُّن في التأليف دون تصنُّع او تكلف ولا حشو

ولا تطويل بحيث ينتقل القارئ من فائدة الى مثلها ومن رواية الى اختها والنفس نشيطة والقلب مرتاح وقد وجدنا انشاءهُ اشبه شيء بانشاء صاحب الاغاني في انتقاء الفاظه وبلاغة معانيه وبراعته في اوصاف الاحوال. كما ترى في هذه الامثلة التي نثبتها هنا تعريفًا لمقام المؤلف وتنويهًا بفضله:

قصة مزوّر الكتاب (١١٣-١١٤)

« حدث ابو الحسين عبد الله بن احمد بن عياش القاضي: ان رجلًا اتّصلت عُطلته وانقطعت مادّته فحمل نفسهُ على ان زوّر كتابًا من ابي الحسن بن الفرات الى ابي زنبور المادراني عامل مصر في معناهُ مُتضمنًا للوصاة به والتأكيد في الاقبال عليه والاحسان اليه وخرج اليه فلقيهُ وارتاب ابو زنبور بامره لتغيّر الخطاب فيه عمّا يعهدهُ وزيادة تأكيده على ما جرت به العادة في مثله وان الدعاء للرجل في الكتاب اكثر ممّا يقتضيه محلّه. فراعاهُ مراعاة قريبةً ووصلهُ بصلةٍ قليلة وارتبطهُ عندهُ على وعدٍ وعدهُ به وكتب الى ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه وانفذهُ بعينه اليه واستثبتهُ. وقرأ ابن الفرات الكتاب المزوّر فوجد فيه ذكر الرجل بانهُ من اهل الحرمات به والموات لديه وما يقال في ذلك ويتبعهُ ممّا يعود بمعرفة حقّه واعتماد نفعهِ. وعرضهُ على كتابه واصحابه وعرّفهم الصورة فيه وتعجّب منها وقال لهم: ما الرأي في امر هذا الرجل. فقال بعضهم: يؤدَّب بالضرب والحبس. وقال آخرون: تقطع ابهامهُ لئلّا يُعاود مثل هذا التزوير. وقال احسنهم محضرًا: تكشف لابي زنبور قصّتهُ ويُتقدّم اليه بطرده وحرمانه مع بُعد شُقّته. فقال لهم ابن الفرات: ما ابعدكم من الحريّة وانفر طباعكم عن الحرّية. رجل توسّل بنا وتحمّل المشقّة الى مصر في تأميل الصلاح بجاهنا واستمداد صُنع الله ورزقه بالانتساب الينا تكون احسن احواله عند اجملكم محضرًا تكذيب ظنّه وتخييب سعيه والله لا كان هذا ابدًا. ثم اخذ القلم ووقّع بخطّه على ظهر الكتاب المزوّر: « هذا كتابي ولستُ اعرف لِمَ انكرتَ امره واعترضتك شبهةٌ فيه وليس كل من خدمنا واوجب حقًّا علينا عرفتهُ وهذا الرجل تحرّم بخدمتي ايّام استتاري ونكبتي وما أعتقدهُ فيه اكثر ممّا تضمّنهُ الكتاب من وصف ما عندي لهُ. فأحسنْ تفقّدهُ ووفّر رفده وصرّفهُ فيما يعود عليه نفعهُ وتصل اليه فوائده » وردّهُ الى ابي زنبور من يومه فلمّا مضت مدّة طويلة دخل على ابي الحسن بن الفرات رجلٌ ذو هيئةٍ وبزّة

جميلة واقبل يدعو لهُ ويثني عليهِ ويبكي ويقبّل الارض بين يديهِ فقال ابن الفرات: من انت بارك الله عليك (وكانت هذه كلمته). قال: صاحب الكتاب المزوَّر الى ابي زنبور الذي صحّحهُ كرم الوزير وتفضُّلهُ صنع الله بهِ وصنع. فضحك ابن الفرات وقال لهُ: كم وصل اليك منهُ. قال: اوصل اليَّ من مالهِ وتقسيط قسّطهُ وعمل صرفني فيهِ عشرين الف دينار. فقال ابن الفرات: الحمد لله الزمنا فانّا نعرضك لما يزداد بهِ صلاح حالك. ثم اختبرهُ وامتحنهُ فوجدهُ كاتباً سديداً فاستخدمهُ واكسبهُ مالاً جزيلاً»

قصّة المزيّن المحسن (٢٠٤ - ٢٠٧)

«وحدّث ابو القسم الزنجي قال: اجتمع كتّاب ابي الحسن بن الفرات يوماً بحضرتهِ وذلك في وزارتهِ الاخيرة. فذكر كلّ واحدٍ منهم ما لحقهُ من الشدائد في استتارهِ فحدّثهُ ابو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني انهُ كان في موضعٍ واراد الانتقال عنهُ فخرج قبل طلوع الفجر. فلمّا توسّط الطريق تبعهُ انسان لا يعرفهُ واخذ في غير الوجه الذي ارادهُ وتبعهُ وخرج منهُ الى غيرهِ وهو يمشي معهُ. قال ابو عمرو: فلمّا كاد الصبح يُسفر وقفتُ وقلتُ لهُ: حاجتك اعزّك الله. قال: اردتُ ان أونسك في طريقك. قلتُ: انا رجل خائف واريد ان اقصد موضعاً استتر فيهِ وقد قارب الوقت الذي قدرتهُ ان يقرب باتباعك ايّاي. قال لي: قد عرفتك وما قصدتُ فيما فعلتهُ الّا الجميل معك ولو اردت الاستتار لكانت معوضة وهذا منزلي لك وبين يديك واسألك ان تدل اليهِ وتعمل على المقام فيهِ. فنظرتُ فاذا الوقت قد أزف ولا يمكنني الوصول الى الموضع الذي اردت قصدهُ الّا مع طلوع الشمس. فمضيتُ معهُ وتقدّمني واتبعتهُ حتى وصل الى منزلهِ ودخل وادخلني فوجدت داراً طيّبةً وفيها فرش نظيف واكرمني ومهّدني وجلس دوني وقال لي: اعلم جعلني الله فداك اني رجل مزيّن وارجع الى سعة حال ولي ثلثون غلاماً لكل واحدٍ منهم منزل مثل منزلي فتقيم عندي ما احببتَ فمتى ضاق صدرك واحببتَ الانتقال نقلتُك الى منزل واحدٍ واحدٍ منهم فاقمتَ فيهِ شهراً ولعلّ المدّة في فرج الله عنك وبلوغك محابّك ان تكون اقصر من ذلك وبالعاجل فقد افردتُ لك داراً واعددتُ فيها جميع ما تحتاج اليهِ حتى لا تستعمل شيئاً ممّا نستعملهُ نحن فربّما لم تستنظفهُ. ونهض من عندي وغاب ساعةً وقال: اذا شئتَ يا سيدي. فقمتُ وادخلني الى دار متّصلة بدارهِ قد فُرشت بفرش نظيف وجعل فيها ما يُحتاج اليهِ من طستٍ وابريق وجرار

وكيزان وقُدور وغضار وجامات وسُكرجات وصواني واطباق وقناني واقداح. واذا جارية سوداء واقفةٌ. فقال: هذه بين يديك متولّية لخدمتك وانا صاحب خبرك فاذا كان عشيّة انصرفتُ اليك بما اسمعهُ. فشكرتهُ وجزيتهُ الخير ومضى وطبخ لي ما اردتُ وأُحضرتُ من الشراب ما طلبتُ وكان يجيئني في آخر كل نهار فيحدّثني بما يعرفهُ فلم ازل على هذه الحال مدَّة اربعة اشهر لا اعدم شيئًا ممَّا اريدهُ. ثم ضاق صدري واحببتُ الانتقال فاشعرتهُ بذلك فاختار لي واحدًا من اصحابهِ ذكر تقدُّمهُ عندهُ وثقتهُ بهِ فاشار بالنُّقلة الى داره. فمضيت اليهِ معهُ فكان منزلهُ قريبًا من منزل مولاهُ وخدمني وما قصَّر في معرفة حقّي والقيام بما اريدهُ واقمتُ عندهُ شهرًا. واردتُ الانتقال فعرَّفتُ المزيّن ذلك فاشار بالرجوع الى منزلهِ فرجعتُ. ولم تمضِ الَّا ايَّام يسيرة حتى فرَّج الله عنَّا وكشف وجوهنا بالوزير ادام الله تأييده»

«قال الوزير ابو الحسن ابن الفرات: فاي شيء عملتَ في امر هذا الرجل وبايّ مكافأة كافأتهُ على جميل فعلهِ. قال: لا والله ايها الوزير ما عملتُ معهُ قليلًا ولا كثيرًا. فقال لهُ: بئس ما فعلت فانك قد فضحت المستترين وضيَّقتَ عليهم مذهبهم والآن انا أَولى بقضاء الحقّ عنك منك أَنفذ الى الرجل وجئني بهِ. قال ابن الفرخان: فقلتُ لكانون غلامي: امضِ الى المزيّن الذي كنَّا مستترين عندهُ فجئْ بهِ وعرّفهُ ان الوزير يريدهُ. فمضى. فلمَّا بعُد قال لي الوزير: اردُدهُ وتقدَّمْ اليهِ بان يورد عليهِ رسالةً جميلةً يسكن اليها وان يُحضِرَهُ على رفق واكرام. (قال) فرددتهُ واوصيتهُ ومضى الغلام وتشاغل ابو الحسن بالنظر والعمل وتشاغلنا بالتوقيع والكتب. ثم جاء الغلام وعرَّف ابا عمرو بن الفرخان حضور المزيّن وعرَّف عمرو الوزيرَ ذلك. فقال: يدخلْ. وخرج الحاجب فأوصلهُ الى المجلس فوقف على بُعدٍ فاستدناهُ وامتنع. فالحَّ عليهِ فدنا وامرهُ بالجلوس فابى اشدَّ الاباء. ولم يزل بهِ حتى جلس. ثم قال لهُ: لمْ تتأخَّرْ مقابلةُ ابي عمرو لك عن جميل ما اوليتهُ اياه الَّا لانهُ خرج على حالٍ مختلَّة وذات يدٍ قصيرة وانا اتولَّى ذلك عنهُ ولقد احسنتَ بارك الله عليك وفعلتَ ما يفعلهُ الاحرار. فقام وقال: قد وصلتُ ايها الوزير الى اعظم الجزاء بوصولي الى هذا المجلس وسماعي لهذا الخطاب وبلغتُ غايةَ املي ونهايةَ امنيّتي بذلك وما بلغتُ ما كان في نفسي من قضاء حقّهِ (واشار الى ابي عمرو). فامر ابو الحسن باحضار ابي العباس احمد بن مروان وكيلهِ. فحضر واسرَّ اليهِ شيئًا لم نعلم ما

هو فخرج واخذ المزيّن معهُ ثم عاد بعد ساعةٍ وحدَّثهُ ما لم نسمعهُ. فاخرج رأسه من سراره وقال: أرأيتم مثل ما نحن فيهِ مع هــذا المزيّن. تقدَّمتُ الى ابن مروان بان يدفع اليهِ خمسة آلاف درهم فعرّفني انهُ امتنع من قبولها وذكر سعة حالهِ واستغناءهُ عنها. وردَّ اليهِ ابن مروان برسالة في هذا المعنى فمضى وعاد وذكر اقامتهُ على الامتناع. فامر الوزير ابا عمرو بن الفرخان بان يقوم اليهِ ويلاطف بهِ ويَرفق ولا يدعهُ حتى يقبل ما اطلقهُ وقال: لعلَّهُ استقلَّ الخمسة آلاف درهم فلتُجعَل خمسمائة دينار. فاحضرهُ والزمهُ اخذها وعرَّفهُ انهُ ان امتنع من ذلك غضبتُ عليــهِ وانهُ يُفسد ما قد حصل لهُ من نفسي. فقام ابو عمرو وغاب ساعةً ثم عاد وقال: ما زلتُ معــهُ في مراوضةٍ وملاطفةٍ حتى قبلها وانصرف شاكرًا. فبقينا وبقي الناس زمانًا يتعجّبون من فعــل المزيّن وكبر نفسه وكرم ابن الفرات ومكافأته عن كاتبهِ »

مطبوعات شرقيَّة جديدة

Die katholische Kirche in Armenien

v. Dr S. Weber, *Herder, Freiburg im Breisgau,* 1903 in-8, XX-531

الكنيسة الارمنيَّة الكاثوليكيَّة

انَّ مؤلف هذا الكتاب ممَّن اولعوا بتاريخ الكنائس الشرقيَّة وآثارها القديمة. وقد وضع تأليفهُ في اللغة الالمانيَّة وضمَّنهُ اخبار الكنيسة الارمنيَّة واصولها وما طرأ عليها من الاحوال منذ نشأتها الى عهدنا هذا. وقد صدَّر كتابهُ بفصول خصَّصها للبحث عن تاريخ قدماء الارمن الذين سبقوا زمن المسيح متعقبًا في ذلك المؤرخين الاوَّلين كموسى الخوريني وغيره منتقدًا على اقوالهم في بعض الامور متى لم يرها موافقةً للصواب وعارضًا اقوالهُ على ما وُجد من الآثار الكتابيَّة في تلك الانحاء في القرن المنصرم. ثم انتقل الى ذكر بشارة الايمان الاولى بين الارمن على عهد الرسل واتّسع في ذكر القديس غريغوريوس المنوّر وسعى بتعيين السنة التي عمَّت النصرانيَّة تلك البلاد. وممَّا ارتآهُ الكاتب انَّ جاثليق الارمن كان في اوَّل الامر خاضعًا لاكسرخس قيساريَّة ولا يظنُّ انَّ البراهين التي تنسب انشاء كرسيّ اشميازين للقديس غريغوريوس مقنعة. هذا راي المؤلف

ومن اراد الوقوف على آراء الفريقين فعليه بما كتبناهُ في هذا الصدد في مجلّة الشرق المسيحي في العام الماضي. ومما لا يُنكر انّ هذا التأليف الجديد من شأنهِ ان يبيّن كثيرًا من مفاخر الكنيسة الارمنيَّة فنحثُّ كلَّ محبي تواريخ الشرق على مطالعتهِ

الاب فرنسوا تورنيبز

Grammatica della lingua araba ad uso degli Italiani
per Fra Gabriele Maria d'Aleppo, *Beirut*, 1902, 260 - 292

غرامطيق اللغة العربية لفائدة الدارسين الايطاليين

مما اداهُ حضرة الآباء الكبوشيين من الخدم للشرق انشاؤهم في بالرمة من اعمال صقلّية مدرسة جامعة للرسالات الايطاليَّة الخارجيَّة. والعربيَّة من جملة ما يُدرس فيها من اللغات يعلّمها حضرة الاب الفاضل جبرائيل ماريًا الكبوشي الحلبي. ولمَّا لم يجد حضرتهُ كتابًا مستوفيًا في الايطاليَّة لتدريس لغتنا قدم بيروت ونشر في مطبعتنا الكاثوليكيَّة كتابًا واسعًا في قواعد العربيَّة يتضمَّن صرفها ونحوها مشروحين باللغة الايطاليَّة. وألحق هذا القسم الاوَّل بقسم ثانٍ اودعهُ ما يحتاج اليهِ المتكلم من الكلم المتداولة والجمل والمخاطبات مع تمرينات شتَّى في جملتها صور رسائل ووصولات وصكوك الى غير ذلك مما تلزم الاجنبيَّ معرفتهُ ليتعوَّد لسانهُ النطق وقلمهُ الكتابة. وقد تمَّ الكتاب بجزئيهِ مطبوعًا طبعًا نظيفًا متقنًا مع ضبط القسم العربيّ بالشكل الكامل. فنهنّئ حضرة المؤلف بهذا التأليف النفيس ونتمنّى ان يقبل عليهِ كلّ الدارسين الايطاليين الذين يودّون تعلّم العربيَّة واتقان فوائدها

La guerre gréco-turque
par M. Henri Turot, *Paris, Hachette.* pp. 221, in-16

لم ينسَ اهل بلادنا ما نالتهُ العساكر الشاهانيَّة المظفَّرة من الفخر والشهرة في الحرب التي جرت قبل سنين قليلة بين اليونان والدولة العثمانيَّة. فقد احبَّ المسيو تورو احد مشاهير الكتبة الفرنسويين الذي كان يتبع جيوش الدولتين لتسطير اخبار وقائعهما الحربيَّة ان يكتب تاريخ هذه الحرب لتكون عبرة لغيرها من الدُّول. وهو يثني على نظام الجيش العثماني وبسالة جنودهِ ويلوم اليونان على قلّة تروّيهم واختلال نظامهم وثقتهم الزائدة بنفوسهم. فتلك كانت أكبر الاسباب لكسرتهم وتشتُّت شملهم. ومما يزيد القارئ رغبةً في مطالعة هذا الكتاب ما اضاف اليهِ مؤلفهُ من التصاوير الشمسيَّة ورسوم

اركان الحرب والخارطات المضبوطة التي اشتهرت بصنعها مكتبة هاشت هـ. ل

كتاب المناهج

في النحو والمعاني عند السريان

تأليف حضرة الاب جبرائيل قرداحي القس الحلبيّ اللبناني (طبع في رومية ١٩٠٣ ص ٢١٤)

كان صاحب هذا الكتاب الفاضل العلاَّمة وهو مدرّس العربيَّة والسريانيَّة في المدرسة الاوربانيَّة برومية العظمى وترجمان شرف في مجمع انتشار الايمان اتحف طلبة اللغة السريانيَّة بتأليف سابق وضعهُ سنة ١٨٨٠ ودعاهُ « الاحكام في صرف اللغة السريانيَّة ونحوها وشعرها » استحسنهُ المستشرقون فاثنوا عليهِ. وقد مرَّت الأيام على هذا الكتاب والعلوم السريانيَّة لا تزال في ترقٍّ متواصل فاحبَّ واضعهُ ان يعيد فيهِ النظر ويخرجهُ على صورة جديدة فصار المثل مثلين فكبر الكتاب حجماً واتَّسعت موادُّهُ نطاقاً فعمَّ نفعاً. ويفيد هذا التأليف ليس الدارسين فقط بل المعلّمين ايضاً لما أُودعهُ من المباحث غير المبتذلة في اصول لغة السريان ومعانيها وفلسفتها مسنداً قولهُ الى ائمَّة الكتَّاب. فلا شكَّ في ان محبّي اللغات الآراميَّة يقبلون عليهِ كلَّ الاقبال وفي اسم مؤلفهِ احسن ضامن لرواجهِ

Histoire de St Azazail

ܬܫܥܝܬܐ ܕܣܗܕܐ ܢܨܝܚܐ ܥܙܙܐܝܠ

texte syriaque inédit avec traduction française, *par Fr. Macler*, *Bouillon*, *Paris* 1902, pp. 64-38

يحتوي هذا الكتاب قصَّة استشهاد القديس عزازئيل في رومية وجدها المسيو مكلار بين المخطوطات السريانيَّة المصونة في مكتبة الاسقف اليعقوبي في القدس وهي مكتوبة بالسريانيَّة في مجموع يرتقي عهد خطّهِ الى القرن الخامس عشر وسريانيَّتها فصيحة تدلُّ على ان كاتبها ازهر في أيام رونق اللغة السريانيَّة. هذا وانَّ ناشر الكتاب لم يتمكَّن من تعريف مؤلفهِ ولا تعيين زمانهِ كما انهُ لم يبيّن من اين اخذ رواية كتابهِ والى ايّ سند كان مرجعهُ. وان سألتهُ ومن هو يا ترى هذا القديس عزازئيل ونحن لا نعرف شهيدًا بهذا الاسم قُتل في رومية. اجابك انَّ عزازئيل ترجمة اسم « بنقراطيوس »

اليونانيّ وبنقراطيوس شاب رومانيّ مات في سبيل الايمان على عهد ديوقليسيانوس في رومية العظمى. وهو جواب لا يخلو من الصحّة لكنَّ المسيو مكلار لم يؤيد رأيه بادلَّة كافية لحلّ المشكل. ثم انَّ في النصّ السريانيّ الذي نشرهُ اغلاطاً عديدة تشهد على انَّ المتولّي نشر الكتاب لم يتقن بعد السريانيَّة وهو يقرّ بذلك اذ اورد شهادة معلّمه اذ كان يوصيهِ بان لا يتعجّل بنشر تأليفهِ. وفي ذيل الكتاب حواشٍ عديدة منهـا ناقلة يُستغنَى عنها ومنها غير صحيحة. امَّا الترجمة فهي مغلوطة في اماكن عديدة لاسيَّما الصفحات الاولى مثـال ذلك قولهُ (ص ٤) في ترجمة «ܐܘ ܡܫܬܘ̈ܬܦܝ ܘܒܢ̈ܝ ܦܫܘܠܝ» فترجمها بقولهِ (ص ٢٦): « Mes compagnons, mes enfants, qui partagez ma religion » وكترجمة قولهِ (ص٧): ܘܥܠ ܕܩܡܘ ܐܠܗ̈ܐ ܚܝܠܬܢ̈ܐ ܘܠܐ ܣܓܕܘ ܠܗܘܢ بما حرفهُ (ص ٢٨): « Les dieux sont puissants et comme ils ne se sont pas prosternés devant eux » ولا شك انَّ الكاتب كتب في الاصل "ܕܩܡܘ ܠܩܘܒܠ ܐܠܗ̈ܐ" اي «قاوموا الالهة ولم يسجدوا لهم» ولو اردنا لاتينا بامثلة أخرى وفي هذين المثلين كفاية الاب بِترس

شذرات

⁂ ابيات بَيهس ⁂ يذكر القرّاء انَّا كنَّا سُئلنا (المشرق ٦: ٤٨) من أيّ بحر هي ابيات وردت في الاغاني لبيهس. فاجاب حضرة الاب خليل ادّه (ص ١٤١) انَّ القول بكونها من المنسرح اقرب الى الصواب لكنهُ جواب لا يحلُّ المشكل حلاًّ مرضياً لكثرة اختلاف هذه الابيات عن تفاعيل المنسرح وجوازاتهِ. واليوم قد اتتنا من جناب الاديب يوسف افندي الفاخوري فقرةٌ في هذا المعنى وهو يثبت ان الابيات من بحر المنسرح تنطبق على تفاعيلهِ اذا أُصلح منها بعض الفاظها وروعيت الجوازات الشعريَّة كالخرم في اوَّل الابيات فتكون الابيات على هذه الصورة:

يا لها نفساً يا لها انَّـــني لها الطعمُ والسلامهْ
مُقَتَّلٌ اقواماً اخوها بكلّ وادٍ رناء هامهْ
فَلأَطرقنْ قوماً همْ نيامٌ وابركنْ بركة النعامَهْ
قابضٌ رجلٍ وباسطٌ أُخـرى السيفُ أُقدِمُهُ امامهْ.

وهو جوابٌ حسنٌ لولا أنَّنا كنَّا احببنا ان يؤيدهُ الكاتب الاديب بدليل على انَّ في الاصل تحريفًا. والاصل منقول عن اربع نسخٍ خطيَّة مختلفة كما بيَّنّا

اللبانول ليس ارزنا اللبنانيّ من اجمل الاشجار واورفها ظلًّا واصلها فقط بل لهُ ايضًا منافع طبيَّة امتحنها الاطباء المحدثون فاشاروا بفوائدها. وقد استخرج الدكتور هورتاس (Huertas) حديثًا من الارز اللبنانيّ دهنًا دعاهُ «لبانول» دلالة على اصلهِ ثم استحضرهُ بعض اطبَّاء الجزائر بعدهُ من ارز جبل اطلس وقد جرَّبوه في عدَّة امراض لاسيَّما الصدريَّة منها كالنزلات الصدريَّة والزكام الشعبيّ وانسداد جهاز التنفُّس فوجدوه انفع من الادوية الجارية قبل هـذا العهد كبلسم تولو (baume de tholu) وزيت السمك والكريوزوت (créosote) وممزوجات التربنتين. وهو يُفضَّل على هذه المشروبات بكونهِ لا يضرُّ بمنافذ الهضم وتقبلهُ المعدة بسهولة. واللبانول مائع شفَّاف لونهُ في صفرتهِ كلون الليمون الحامض ذو رائحة عطريَّة الطعم حادّ وهو يتحلَّل في الكحول والاثير والزيوت. وتُصطنع من اللبانول اقراص يدخل في كل قرص منها نحو ٢٠ سنتيغرامًا بحيث لا تتجاوز كميَّتهُ غرامين الى ثلاثة غرامات كل يوم. وربَّما مزج اللبانول بزيت السمك فيصير هذا الزيت شهيًّا

ترقّي الكثلكة في الولايات المتحدة قد نشر الدليل الكاثوليكي في اميركة احصاء يبيّن ترقّي الديانة الكاثوليكيَّة في السنة المنصرمة فاحببنا اثباتهُ لفائدة القرَّاء.

الكاثوليك واعمالهم	سنة ١٩٠١	١٩٠٢	الكاثوليك واعمالهم	سنة ١٩٠١	١٩٠٢
رؤساء اساقفة	١٢	١٣	مياتم	٢٤٤	٢٥٧
الاساقفة	٨١	٨٦	عدد اليتامى	٢٥,٥٦٩	٢٧,١٠٨
الكهنة العالميُّون	٩,٢١٨	٩,٧٤٢	مشروعات خيريَّة	٨٧٧	٩٢٢
الكهنة القانونيُّون	٣,١١١	٣,٢٢٥	طلبة المدارس الكاثوليكية		
الكنائس الرعائيَّة	٦,٨٥٤	٧,٠٠٥		سنة ١٩٠١	سنة ١٩٠٢
كنائس المرسلين	٣,٨٢٥	٣,٨٧٣		١,٠٧٨,٦٦١	١,١١١,٠٣١
مدارس كليَّة	٧	٧	مجموع الكاثوليك		
مدارس اكليريكيَّة	٧١	٧١		١٠,٩٧٦,٧٥٦	١١,٣٨٩,٧١٠
مدارس رعويَّة	٣,٨٤٧	٣,٩٧٨	فتكون زيادة الكاثوليك ٤١٢,٩٥٢		

نجاة مدينة دار السلام من الحمّى الملاريَّة — دار السلام مدينة موقعها في مستعمرة الالمان في افريقية الشرقيَّة كان اهلها ومن يحتلُّها من الغرباء فريسة الحمّى الملاريّة تفتك بهم فتكًا ذريعًا . فعيَّنت الحكومة لجنةً من الاطبَّاء لدرس هذه العدوى وطرق شفائها . فلمَّا تحقَّقوا ان جراثيم الداء تنتقل بالبعوض اتَّخذ اصحاب الامر الوسائط الفعَّالة لقتل هذه الهوام ولم يزالوا يحسنون احوال الامكنة حتى ابادوا البعوض واصبحت اليوم دار السلام مدينةً جيّدة الهواء بعد ان كانت من المدن الموبوءة التي لا يخلص من شرّ عدواها ساكن

أسئلة وأجوبة

س — سألنا الدكتور ابراهيم افندي منصور صوما هل المصادقة المعطاة لشمع باريزي في رومية تنفي استعمال شمع آخر في الطقوس الكنسيَّة

شمع باريزيّ

ج انَّ المجمع المقدَّس بمصادقته على الشمع المصطنع في رومية بمحلّ باريزي لا ينفي استعمال شمع آخر يستوفي الشروط المعهودة للشمع الكنسي وانَّما اراد فقط انَّهُ لا بأس من استعمال هذا الشمع في القدَّاس والرُّتب الدينيَّة مع ما فيه من الموادّ الغريبة ولا ينوي بهذه المصادقة انَّ شمع باريزيّ هو وحدهُ المأذون باستعمالهِ

س وسأل جناب اسكندر افندي مزرعاني كيف يشاهد الابرار في السماء من هم على الارض واحوال نفوس المطهر الخ

معرفة الابرار

ج لا خلاف في انَّ الابرار في السماء يشاهدون امورًا كثيرة تجري خارجًا عن مقامهم السعيد . امَّا كيف يشاهدون ذلك فالامر ليس بمقرَّر ثابت ولم تحكم فيهِ الكنيسة حتى الآن . فمن العلماء من يقول انَّ الله يوحي اليهم بهذه الاحوال الخارجية بان يرسمها في عقولهم كصور يطبعها فيها . ومنهم من يرتأي وهو الراي المرجَّح انَّ الابرار يرون هذه الماجريَّات في الذات الالهيَّة على طريقة تفوق ادراكنا البشري بمقتضى مشيئتهِ تعالى وحكمتهِ

ل . ش .